MAg- 726- 07/04

مسجل تحت رقم 2379/13
بتاريخ
الرقم

84 فيفري 2013

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم الثقافة الشعبية

فرع الفنون الشعبية

مذكرة لنيل شهادة الماجستير

العمارة الدينية الإسلامية في منطقة ندرومة من خلال نموذجين : الجامع الكبير وزاوية سيدي محمد بن عمر (دراسة تاريخية وفنية)

إعداد الطالب:

الزين محمد

لجنة المناقشة

د.مصطفى أوشاطر	رئيسا
أ.د. نور الدين صبار	مشرفا
د.بلحاج معروف	مشرفا مساعدا
د. سيدي محمد الغوثي بسنوسي	مناقشا
د.محمد موسوني	مناقشا

المكتبة

السنة الجامعية: 2002-2003

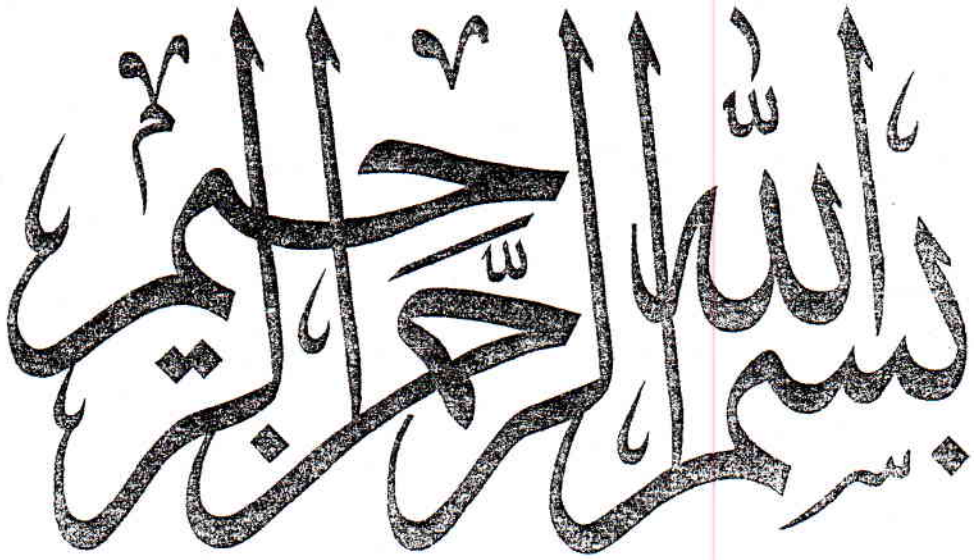
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

إلى من قال فيهما الحق تبارك و تعالى

﴿... و بالوالدين إحسانًا ﴾

سورة الإسراء الآية **23**

- إلى الوالدة التي تبقى أعز مخلوق لدي
- إلى روح الوالد عند بارئها رحمة الله عليها
- إلى السيدة زوجتي التي كانت العون و السند
- إلى أبنائي غانم ، أسامة و خالد
- إلى كل افراد عائلتي

-أهدي هذا العمل المتواضع –

شكر و تقدير

أحمد الله و أشكره على أن وفقني في إنجاز هذا العمل المتواضع راجيا منه أن يجعله نافعا في الدنيا و يجازيني عنه في الاخرة .

كما اقف وقفة إجلال و إكبار لكل من ساهم في إخراجي هذا العمل إلى النور وكان لي سندا و أخص بالذكر السيد المشرف الأستاذ الدكتور نور الدين صبار الذي لم يدخر جهدا في نصحي و توجيهي ، و أشكره لما قدمه لي من تشجيعات و مساعدات فقبل الإشراف على هذا الموضوع و افادني كثيرا فبقدر ما جمعنا العمل من حيث الأهتمام العلمي جمعتنا الصرامة و الجدية رغم إنشغالاته ، فله مني جزيل الشكر و العرفان.

كما اشكر السيد المشرف المساعد الدكتور بلحاج معروف الذي أخد بيدي و لم يبخل علي ففتح لي مكتبته الخاصة و قدم لي إرشادات و صحح لي ما يجب تصحيحه ، فجزاه الله عني كل خير .

أشكر ايضا الاستاذ إبراهيم شنوفي مدير الدائرة الأثرية لولايات تلمسان، سيدي بلعباس و عين تموشنت الذي رحب بي و قدم لي الكثير من المراجع و الوثائق .

أشكر جميع الزملاء الذين ساهموا بقراءاتهم و مناقاشتهم لهذا العمل المتواضع .

المقدمة

مما لا شك فيه أن الفن الاسلامي وسع ميادين كثيرة منها على وجه الخصوص العمارة بمختلف أنواعها والزخرفة إذ أن المتتبع لتاريخ الاسلام يلاحظ إهتمام المسؤولين بإستحداث المدن مع حركة الفتوح والتوسع لنشر الدين في جميع الامصار وقد كانت المدن المستحدثة على نوعين :

- المدن المعسكرات - المدن الملكية

و كان أول ما يخطط له هو المسجد الذي نجده دوما يتوسط المدينة وتتفرع حوله الطرقات والأحياء والمرافق في شكل هندسي ذو تنسيق محكم .

وعليه فإن المسجد هو المركز الذي تدور حوله الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية ، والملاحظ في المساجد الجامعة التي كانت محورا في المدن أنها كانت اكبر مساحة وأكثر شهرة وأبعد أثرا في مختلف ميادين الحياة كما يعد من أهم معالم المدينة الاسلامية التي يضفي عليها صفة المدنية، فغالب ماكان يتولى الخليفة بنفسه إمامة المسلمين سيما في صلاة الجمعة .

و تجدر الإشارة إلىأن تشييد الجوامع الضخمة لم يظهر إلا بعد إنتقلال الخلافة إلى دمشق عام 41 هـ / 661 م على يد معاوية مؤسس الدولة الأموية .

حرص الخلفاء الراشدون تبعا للنبي صلى الله عليه و سلم على تجنب مظاهر البدخ و الترف ولما تسلم معاوية أمر الخلافة رأى أن الأمر يتطلب تشييد مساجد لاتقل فخامة عن معابد أصحاب الديانات الأخرى .

ولما رأى المسلمون أن الخليفة في دمشق بنى مسجدا ضخما و جعل فيه النقوش و زينه بالرسوم راحوا يقلدونه في بقية المدن و الأمصار ، كما حرص عبد الملك ابن مروان على أن يكون مسجد الصخرة المشرفة أعظم من الكنيسة التي كانت للنصارى.

كما تأثرت منطقة بلاد المغرب كبقية الأقطار الأخرى التي شهدت الفتح الإسلامي الذي أضفى طابعه الخاص في كل ميادين الحياة .

فبانتشار المدن عم الطابع الإسلامي، وكانت القيروان رمزا من رموز الحواضر الإسلامية .

و سرعان ماتعددت المدن المحدثة بالمغربين الأوسط و الاقصى و أنشئت بها المساجد الجامعة ثم بدأت تظهر الزوايا كمؤسسات دينية منفصلة عن المساجد تؤدي دورها الديني و الإجتماعي هي الأخرى .

ويعتبر كل من الجامع و الزاوية مؤسستان ذات أهمية كبرى في المدينة الإسلامية و ترجع هذه الأهمية إلى الدور المنوط بهما داخل المجتمع الإسلامي .

لهذا فإننا لا نكاد نجد مدينة أو قرية أو دشرة في الجزائر تخلو من مسجد أو زاوية أومجموعة من المساجد أحيانا ، كما هو الشأن في تلمسان و ندرومة ... و تظهر أهمية هاتين المؤسستين في اهتمام الناس ببناء المساجد و الزوايا أساسها الحفاظ على الطابع الديني للمنطقة و مكان مقدس لتأدية الشعائر التعبدية و التقرب إلى الله .

و نظرا لهذه الأهمية المقدسة إعتنى المعماري و البنّاء المسلمان بعمارة الجوامع و الزوايا حتى تتماشى و وظيفتهما اللتان اعدتا من أجلها .

فالزاوية هي مركز إشعاع ديني ببعديه الروحي و التعليمي فهي امتداد لوظيفة المسجد و الجامع و تزيد عليه وظيفة من حيث الإيواء و الإطعام لذلك نجد أن عمارتها تزيد عن عمارة المسجد بوجود بيوت جانبية و قاعات عديدة كل واحدة لها وظيفتها كما لها طرازها المعماري الخاص بها ..

لا يزال المسجد الجامع بندرومة و الذي يعود تاريخ بنائه إلى العهد المرابطي و كذا زاوية سيدي محمد بن عمر مركزا إشعاع حضاري بالمنطقة و عامران يقصدهما المتعبدون و المريدون من مختلف البقاع لهندستهما المعمارية المتفردة و رونقهما إضافة الى حسن ضيافة وكرم اهل المنطقة .

لهذا سنحاول تسليط الضوء عليهما كمعلمين حضاريين ولعل ما جذبنا إلى ذلك نقص الدراسات التي تعتني بالجانب الفني والمعماري للحواضر الدينية أي الدراسات المهتمة بالهندسة المعمارية للمؤسسات الدينية بالمنطقة .

ومن أهم الاسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع :

أ – نقص الدراسات التي عنت بالجانب التاريخي والفني المعماري للزاوية خاصة وموقعها داخل المنظومة الاسلامية.

ب- المساهمة في ابراز الجانب التاريخي والفني لهذه المنطقة والتنبيه الى ضرورة الحفاظ على هاتين المؤسستين من الناحية الفنية بالترميم والصيانة .

يأخذ المسجد في المدينة الاسلامية مكانة معمارية هامة فهو أول ما يخط داخلها ، ثم تحيط به بعد ذلك سائر المرافق وظل يمثل إلى وقت غير بعيد المرفق الديني الوحيد داخل المجتمع الاسلامي ثم ظهرت فكرة بناء الزوايا والمدارس مستقلة في عمارتها ووظيفتها عن المسجد .

وسنحاول من خلال هذا البحث اظهار الجامع والزاوية كتركيبتين مستقلتين عن بعضهما ومعرفة الفرق بينهما والى اي مدى تأثر الجانب الفني للجامع الكبير

بندرومة وزاوية سيدي محمد بن عمر بضواحيها بالطرز الفنية الخاصة بالمنطقة واستعمال مواد البناء المحلية وإختيار الطرز المعمارية الاسلامية .

اعتمدت في دراستي لهذا الموضوع على الجانب النظري ، ركزت فيه على ماورد في المصادر و المراجع التي تطرقت الى هذا المجال أما الجـــانب الثـــاني خصصته الى للدراسة الميدانية التي تعتمد على التطبيق والمعاينة المباشرة .

ولهذه المنهجية تعين علي اتباع المنهج التاريخي الذي اعتمدته في تقصـــي نشأة الجامع الكبير بندرومة و زاوية سيدي محمد بن عمر والمنهج الوصفـــي التحليلي الذي اعتمدته في وصف النمودجين المختارين بالشرح والتحليل .

انطلاقا من التصور الذي حددته جاءت خطة البحث في مقدمة وثلاثـــة فصول وخاتمة وكل فصل مخصص بعنوان .

يتناول الفصل الاول التعريف بالمنطقة جغرافيا وتاريخيا .

أما الفصل الثاني يبحث في الجامع الكبير بندرومة كنموذج أول والـــذي اراعي فيه الدراسة الفنية محاولا اظهار القيمة التاريخية مسلطا الضـــوء علـــى خاصية عناصره المعمارية.

والفصل الثالث خصصته لدراسة زاوية سيدي محمد بن عمـــر وهـــو النموذج الثاني أراعي فيه كذلك الدراسة الفنية محاولا إظهار القيمة التاريخية.

وذيلت بحثي هذا بخاتمة وملحق للخرائط والصور التوضيحية .

الفصل الأول : جغرافية و تاريخ منطقة ندرومة

I _ الإطار الطبيعي لمدينة ندرومة

1 _ موقع ندرومة

1-1 _ الموقع الجغرافي

1-2 _ الموقع الإداري

2 _ التضاريس

2-1 _ المنطقة الجبلية

2-2 _ المنطقة السهلية

II _ الإطار التاريخي لمنطقة ندرومة

1 _ التسمية و دلالتها

2 _ تطور المنطقة

2-1 _ ندرومة في العهد الروماني

2-2 _ ندرومة في العهد الإسلامي

2-3 _ ندرومة في العهد العثماني

2-4 _ ندرومة في العهد الإستعماري

III _ الحياة العامة للمنطقة

1 _ الحياة الإجتماعية

2 _ الحياة الإقتصادية

مدينة ندرومة مدينة تاريخية قديمة ذات موقع جميل ، لازالت حولها بقايا أثرية قديمة ، و هي ذات شهرة في تاريخ شمال إفريقيا لكونها مثلت مهدا لأهم دولة إسلاميةهي دولة الموحدين ، تقطن المنطقة قبائل عديدة منها قبيلة كومية التي أنجبت عبد المؤمن بن علي مؤسس هذه الدولة و مازالت ندرومة تحتفظ بملامح و ميزات المدينة العربية الإسلامية .

تتصف مدينة ندرومة بقوة الإستقرار الحضاري ، إنها تتوسط منطقة ترارة (1) فهذا الموقع يسمح لها بتنمية أنشطتها الحرفية و التجارية . أحواز المدينة غنية بمنتوجاتها الزراعية و الحيوانية ، حيث ان فئة هامة من سكان المنطقة تمارس الزراعة و تعيش من مردودها ، و أخرى يغلب عليها طابع الحرفة و التجارة .

نالت منطقة ندرومة مرتبة هامة في النسيج كما إشتهرت بالصناعة الفخارية ، و أصبحت مركزا سياسيا و إقتصاديا و ثقافيا هاما و ساهم في وجود هذا الدور كل من تاريخ المدينة العريق و الدور الهام الذي إحتلته كمركز إشعاع ثقافي و حرفي إضافة إلى الدور التجاري .

شكل الإطار الطبيعي و الإطار التاريخي لهذه المنطقة إطارا عاما متكاملاو منسجما عمل على تطور و إستمرار الحياة الحضرية .

I الإطار الطبيعي لمنطقة ندرومة :

1–موقع ندرومة

1–1 الموقع الإقليمي :

تقع ندرومة في منطقة جبلية على بعد 60كلم إلى الشمال الغربي من تلمسان على الطريق العابر منها إلى فاس التي تبعد عنها بحوالي 300 كلم، و ذلك مرورا بمرسى (الغزوات)، و هو أحد موانئ المدينة و مراسيها التجارية و يبعد عنها ب 20كلم فقط،و بينها أي مدينة ندرومة و بين مرسى هنين مسافة قصيرة تقدر بحوالي13 كلم(2)

1 ــ كلمة استعملت في القرن 16 م لأول مرة في تاريخ المنطقة و تعني التجمعات القبلية التي تحيط بالمدينة.

2ــ أنظر الخريطة رقم (1).

و يعد المرسى على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لتلمسان و ندرومة معا.

و كانت تسكن جبال تاجرا الممتدة بين مرسى هنين و مدينة ندرومة قبيلة مشهورة هي قبيلة كومية(1)، و لا شك أن مدينة ندرومة كانت تستفيد تجاريا من هذا المرسى الذي كان مقصودا من التجار.

و بموقعها ذاك تحتل المدينة موقعا متميزا على الطريق التجاري الكبير الرابط بين تلمسان و مدينة وجدة و منها إلى رباط تازا و إلى فاس.

كما تعد ندرومة إحدى المدن الهامة و الرئيسية لمملكة تلمسان الزيانية (633-954 م) في المغرب الأوسط.

2-1 الموقع الإداري :

ندرومة مقر بلدية و دائرة تابعة لولاية تلمسان، تقدر مساحتها بحوالي 140كيلو متر مربع يسكنها 22600 نسمة.

يحدها من الشمال دائرة الغزوات و من الغرب دائرة مغنية و دائرة باب العسة و من الجنوب دائرة الرمشي و من الغرب دائرة بني صاف التابعة إداريا لولاية عين تموشنت(2).

ترتفع ندرومة عن سطح البحر ب 650 متر فهي منطقة متوسطة الارتفاع.

تتكون اداريا دائرة ندرومة من ثلاث بلديات و هي ندرومة و عين الكبيرة و فلاوسن.

1- كومية هي قبيلة بربرية كبيرة و شهيرة في المنطقة ، ينتمي إليها عبد المؤمن بن علي الكومي مؤسس الدولة الموحدية .

2- أنظر الخريطة رقم (2).

2- التضاريس :

2-1 المنطقة الجبلية :

و تتكون جبال منطقة ندرومة من ثلاثة سلاسل موازية للبحر ذات أشكال موشورية أو مخروطية و تقترب من بعضها عند الساحل، و تشكل امتدادا طبيعيا لجبال منطقة ترارا بكاملها كما تعد ندرومة قلب هذه المنطقة حيث يحدها شرقا و جنوبا وادي التافنة و غربا وادي كيس الذي يفصلها عن المغرب، و كانت كل قبيلة في المنطقة تحتل مكانا محددا في جبالها على شكل قرى أختيرت بحيث يمكن الدفاع عنها طبيعيا و بشريا بكل سهولة و يسر، و كذلك منحدرات وعرة يصعب الولوج إليها أو الوصول إلى مضاربها حيث تبدو كل قرية أو مركز كما لو كان حصنا أو قلعة(1).

2-2 المنطقة السهلية :

أهم مايميز إقليم ندرومة أنه يقع على المنحدر الشمالي لجبال فلاوسن يمتد على الهضبة الشرقية المتوجهة نحو البحر الأبيض المتوسط ، خصوبة ارضه توحي بوجود مياه وافرة بالمنطقة ، و لهذا فإن خصوبة الأرض و أهمية الموقع شكلت دائما مظاهر إغراء للإقامة و الإستيطان .

إن موقع ندرومة الممتاز و غير البعيد عن البحر يجعلها ذات أهمية إستراتيجية و نقطة حساسة في العملية التجارية .

سهول المنطقة ثرية صالحة للزراعة حيث نجد غابات متنوعة واشجارا مختلفة مثل التين ، الزيتون ، التوت البري و الخروب أي كل منتجات الحوض المتوسطي .

مناخيا فإن منطقة ندرومة تنقسم فيها السنة إلى مرحلتين كبيرتين : موسم رطب بارد يمتد من أكتوبر إلى أواخر أفريل و موسم حار و جاف يمتد من أوائل شهر ماي إلى أواخر شهر سبتمبر و يقدر متوسط التساقط على المنطقة مابين 400 و 600 ملم .

1- Canal . Monographie de l'Arrondissement de Tlemcen ,Bulletin de la Societe de Geographie et d'Archéologie de la Provence d'Oran, T.VIII , 1888 , P83.

II الإطار التاريخي لمدينة ندرومة :

1- التسمية و دلالتها :

إن المعرفة بمدينة ندرومة قبل القرن 5هـ/11 م من الناحية التاريخية مازال يحيطه الغموض بصفة عامة، و في مجال الدراسة الأثرية و العمرانية بصفة خاصة، فنحن نجهل تماما مصدر اسمها و إشتقاقاته على سبيل المثال، كما نجهل ظروف تأسيس المدينة و نشأتها و تطورها العمراني.

فإن ما يورد حسن الوزان حول اسمها من أنها من تأسيس الرومان و أنهم اختاروا لها موقعا مماثلا و تصميما مشابها لمدينة روما، و أن اسمها مشتق من كلمة (ند) في لغة الأفارقة و يقصد بها كما في اللغة العربية، التي لها نفس مدلول كلمة سيميليس (Similis) اللاتينية التي تعني (مثيل)(1) و هي معلومات خاطئة و غير صحيحة، نقلها عنه مارمول من غير تمحيص و زاد عليها معلومات أشد خطأ إمعانا في تأييد سابقه و إرضاء لتعصبه(2).

و المعروف أن الدراسة الأثرية للمنطقة و المدينة لم تصل إلى أي نتيجة يحتمل معها أن تكون المدينة رومانية، فقد حاول الكثير من الملاحظين و الدراسيين الفرنسيين أن يؤكدوا وجهة نظر حسن الوزان، فأجروا حفريات في أماكن مختلفة من المنطقة و المدينة نفسها دون جدوى(3)، فغياب أي أثر أو آثار للرومان بالمنطقة و المدينة يجعلنا نؤكد أنها مدينة أحدث من العهد الروماني في شمال إفريقيا.

1- حسن الوزان ، وصف إفريقية ،ترجمه عن الفرنسية محمد حجي و محمد الأخضر ، ج2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت – لبنان 1983 ص-ص 13-14 .

2- كربخال مرمول ، إفريقيا ، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي و آخرون ، دار نشر المعرفة ، الرباط ، 1989 ، ص 295.

3- Canal , Op Cit , T.VIII , 1888 P 207.

و يحتمل أن إسم المدينة حل محل إسم قديم لها نتيجة أحداث و تطورات وقعت فيها ربما على يد قبيلة كومية(1) التي كانت تشرف على المدينة و المنطقة بأكملها.

و يحاول باسي أن يجد للتسمية و المدينة صلة بما أورده اليعقـــوبي في كتابـــه "البلدان" عن مدينة بربرية أسماها (فلوسن) كانت تسكنها مجموعة قبـــائل الـــبربر، و يرى أن هاته التسمية مشتقة من إسم لقبيلة(2)، غير أن باسي نفسه اعتمد علـــى التصوير و ربط العلاقة بين الإسم و أسماء و مشتقات أخرى غير صريحة في مجملـــها، ذلك أن (فلوسن) هذه مجهولة الموقع و الحدود.

غير أن الإسم الحقيقي لمدينة ندرومة يستدل عليه مما يورده بـــن خلـــدون في حديثه عن قبيلة كومية، إذ يقول أنه كان لهم ثلاثة بطون منـــها تفرعـــت شـــعوبهم و قبائلهم، و هي ندرومة و صغارة و بني يلول ، و يضيف : أن مواطن كومية كانت بالمغرب الأوسط في المناطق الساحلية بنواحي أرشكول(3) و تلمسان.

و من هنا يتضح أن إسم قبيلة ندرومة أطلق على المدينة و المنطقة لانتجاعها فيها أو في نواحيها، و لا شك أن هذه القبيلة كانت على درجة من القوة و الكثرة فرضت بهمـــا نفسها على بقية القبائل الأخرى حتى أصبحت المدينة و المنطقة تعرف باسمها. غير أننا لا نعرف بالضبط متى أسست هذه القبيلة مدينتها و متى أصبحت تعرف بها.

1- H. Basset, Nédroma et les Traras , Publication de l'Ecole des Lettres d'Alger Paris 1901 , P6-7

2- Ibid , P 7

3- أرشكول تسمى اليوم رشقون و قي قرية ساحلية تابعة أداريا لولاية عين تموشنت

3- تطور المنطقة تاريخيا :

على أية حال اسم المدينة يورده البكري في القرن 5هـ/11م لأول مرة و بصفة صريحة و محددة يدل على أنه لا يتحدث عن مدينة حديثة بقدر ما يتحدث عن مدينة ذات أهمية كبيرة من الناحية الاقتصادية و العمرانية، فهو يتحدث عن موقعها و حدودها و ما اشتملت عليه من سهول زراعية و بساتين مثمرة، و لكن أهم ما يذكر عنها باعتبارها مدينة، هو إحاطتها بسور، و السور أحد المعايير الحضارية في بناء المدن الإسلامية باعتبارها وسائل تساعد على حفظ النفس و المال و العرض، و هي من مقاصد الإسلام الكبرى.

و تزداد أهمية المدينة من الدلالات التي يذكرها البكري عن المدينة في موضع آخر في قوله أن ساحلها وادي ماسين ... و له مرسى مأمون و عليه حصنان ورباط حسن مقصود يتبرك به.

فوجود حصنان و رباط بمرسى المدينة يدل على أهميتها و حيوية المنطقة، و لا شك أن الرباط بالصيغة التي أوردها البكري من التبرك به، لم يعد موجه للحراسة و الدفاع عن المنطقة، و بالتالي لم تعد له الوظيفة العسكرية التي أسس من أجلها، فالرباطات مثلما هو معروف بنيت في الحدود و المناطق و النقاط الحيوية التي يمكن للعدو أن يتوغل منها إلى المناطق و المدن السكنية، و هي ظاهرة أصحبت الفتوحات الإسلامية في المشرق و المغرب، و كان المغرب أحد المناطق التي انتزعتها المسلمون من بيزنطا المسيحية، و أمام فشلها برا في استردادها و انحياز السكان للمسلمين و انضوائهم تحت راية الإسلام، عمدت بيزنطا إلى الثأر و الانتقام من الإسلام و المسلمين مستخدمة قواعدها البحرية الضاربة في جنوب إيطاليا في الهجوم على السواحل المغربية خصوصا و أن قوة المسلمين البحرية كانت ضعيفة في القرنين التاليين للفتح الإسلامي، فما كان منهم إلا بناء سلسلة من التحصينات و الأربطة على طول

السواحل للمراقبة و الاستشعار، و كان أهم تلك الأربطة رباطي سوسة و المنستير، و بكل تأكيد رباط تاونت أو الغزوات التي يتحدث عنه البكري أيضا.

غير أن هذه الأربطة لم تعد لها أهمية دفاعية لتحول المسلمين إلى قوة بحرية خلال القرن 3هـ/9م و ما بعده، و إنبرائهم إلى سياسة الهجوم و تهديد القواعد البيزنطية نفسها في جنوب إيطاليا و النيل منها في أوقات مختلفة و متكررة، مما أدى إلى تعطل الوظيفة العسكرية للرباطات، و تحولها إلى إقامات و ملاجئ للمتصوفة و الصلحاء و الزهاد، و هو ما يعبر عنه البكري في العبارات السابقة.

فالرباط يبني عادة إذن للمراقبة و حماية المنطقة و المدينة من أي هجوم بحري أو بري مباغت، و يبدو أن رباط تاونت أو الغزوات بني من أجل ذلك غير أننا لا نعرف متى أقيم و لا من أقامه، كما نجهل شكله و تصميمه المعماري.

و مع أهمية المنطقة و المدينة يسكت البكري تماما عن الإشارة إلى أي مسجد أو جامع للمدينة، و سكوته لا يعني أنه لم يكن لها مسجد بل على عكس ذلك فإن إيمان الناس القوي في عهده و الذي يتضح في حديثه عن إيمانهم بالغيبيات التي تدل عليها زيارتهم للرباط و تبركهم به، و أنه إن سرق أحدهم فيه أو أتى بفاحشة لم تتأخر عقوبته الإلهية و قد تعارف الناس على ذلك مثلما يذكر. و هو ما يجعلنا نؤكد انه كان للمدينة مسجد، إذ لا يعقل أن تكون مدينة بهذه الأهمية، لتخلو منه، فالبكري نفسه يشير إلى معرض حديثه عن المدينة ترنانا القريبة من ندرومة و التي لا تبعد عنها إلا بثمانية كيلو متر كانت مسورة و لها سوق و مسجد جامع و بساتين كثيرة فترنانا و ندرومة متشابهان من حيث إحاطتهما بسور و هو أحد المعايير الموحية بأهمية المدينة و كونها مصرا أو مركزا حضاريا كبيرا لا بد أن يشتمل على مسجد و هو أحد العناصر الهامة في أي مصر أو مدينة.

و بعد قرن من الزمن تقريبا أي في القرن 6هـ*12م يورد الإدريسي نصا عن مدينة ندرومة، يتضح من خلاله أن المدينة تطورت تطورا ملحوظا عما كانت عليه في عهد البكري، فهو يذكر أنها : "... مدينة كبيرة عامرة آهلة ذات سور و سوق

و موضعها في سند و بها مزارع كثيرة و بها وادي يجري في شرقيها و عليه بساتين و جنات و عمارة و سقي كثير ..."(1)، و يؤكد نص الإدريسي كان قد ذكره البكري عن احاطة المدينة بسور و ما كانت تتميز به من سهول و بساتين و لكنه يضاف إلى ذلك عناصر جديدة أهمها السوق و الجنان و السقي الكثير و العمائر، و ذلك كله يدل على مدى التغيير الذي طرأ على المدينة و بكل تأكيد سينعكس على نسيجها العمراني، غير أن الإدريسي نفسه لا يشير إلى وجود أي مسجد بالمدينة و لكن التطور الذي أتى على ذكره زراعة و عمارة و ديمغرافيا يؤكد وجود مسجد جامع، إذ لا يعقل أن تكون مدينة بهذه الصفة تخلو منه ذلك أن CANAL أعد في الربع الأخير من القرن 13هـ/19م ثماني مساجد وفي نهاية القرن أحصى BASSET أحد عشر مسجدا بمدينة ندرومة في أماكن و فترات مختلفة منها.

III التطور التاريخي لمدينة ندرومة حتى نهاية العصر العثماني :

ارتبط مصير مدينة ندرومة و المدن الأخرى بالمنطقة بمصير تلمسان، ذلك أن مدينة تلمسان اتخذت منذ الفترة السابقة عن الإسلام عاصمة و مركزا للمغرب الأوسط الغربي، ثم عاصمة للمغرب الأوسط بأكمله منذ العهد الزياني، و كانت ندرومة في جميع تلك الأحوال تابعة لها، و إحدى مدنها الهامة منذ مطلع القرن 5هـ/11م.

1-3 ندرومة في العهد الإسلامي :

1-ندرومة في عصر الولاة :

و لا شك أن ندرومة ساهمت إلى جانب تلمسان في الصراع السياسي و المذهبي الذي عم البلاد بوفاة الخليفة الأموي العادل عمر بن عبد العزيز و ذلك بسبب سياسة الظلم و الاستبداد التي استمسك بها عمال المغرب في عهد الولاة من قبل الخلافتين الأموية في دمشق و العباسية في بغداد و برضاء منهما، و هي السياسة التي وضع خطوطها العريضة الحجاج بن يوسف في المشرق.

1- انظر الخريطة رقم (3).

و طبقت فيه كما طبقت في المغرب، و لكن البربر كانوا أشد مقاومة لها لتعارضها مع روح التعاليم الإسلامية التي فهموها و آمنوا بها و اتخذوا الإسلام دينا لهم على ضوئها خصوصا و أن ندرومة فرع من قبيلة كومية المنتسبة للقبيلة الأم زناتة التي لعبت دورا خطيرا في الأحداث السياسية و الصراع المذهبي في المغرب منتحلة المذهب الصفري.(1)

و في حدود 135هـ/752م تجمعت قوات زناتة بنواحي تلمسان تحت زعامة أبي قرة اليفرني عازمة على الانضمام إلى ثورات العرب و الخوارج و البربر القائمة آنذاك ضد والي القيروان عبد الرحمن حبيب بإفريقية و المغرب الأدنى و طرابلس، و لم يكن هذا التجمع خافيا على الوالي، فخشي من هذا الحلف، مما جعله يبادر إلى مهاجمة تجمع تلمسان و تمكن من تفريقه و إلحاق الهزيمة به(2).لا شك أن قبيلة كومية و ندرومة الزيانيتين كانتا ضمن هذا التجمع،و أصابها ما أصابه.

و بعد سقوط الخلافة الأموية تواصلت ثورات البربر ضد الخلافة العباسية، و كانت منطقة تلمسان دائما متزعمة لحركة الثورة، فقد أحست زناتة أن هناك مشروعا موجها ضدها تقوم الخلافة العباسية بإعداده لمنطقة المغرب (3)و ذلك من خلال تعيين الأغلب بن سالم التميمي و محمد بن الأشعث الذي بادر إلى تحصين القيروان و اتخاذ طبنة قاعدة متقدمة للقيروان في المغرب الأوسط، فعمدت زناتة التي كانت تتزعمها آنذاك قبيلة بني يفرن إلى مبايعة أبي قرة اليفرني بالخلافة و ذلك سنة 148هـ/765م(4) فاتخذ من تلمسان قاعدة له في المغرب الأوسط و من طنجة مركزا له بالمغرب الأقصى.

1- ابن عذارى المراكشي ، البيان المغرب في اخبار الأندلس و المغرب، تحقيق ح. س. كولان و إ.ليفي بروفنسال ، دار التقافة ، بيروت -لبنان 1980 ، ص-ص 65-68 .

2- السلاوي ، الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج1 ، تحقيق و تعليق الأستاذان جعفر و محمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، المغرب 1954 ، ص105.

3- السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير،ج2، العصر الإسلامي، دار النهضة العربية،بيروت لبنان 1981

4- عبد الرحمان بن خلدون ، كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من دوي السلطان الأكبر ، مج 6 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان 1983 ص 223.

وكان أبو قرة يمتاز بالقوة و الشجاعة و الدهاء، إذ تمكن من ضم زناتة المغربين الأقصى و الأوسط تحت زعامته(1)، و سارت جيوش الطرفين كل منهما للآخر، و اقتربت من بعضها في منطقة الزاب، غير أن المعركة لم تحدث بينهما لتخوف كل منهما من صاحبه، فتحاشى كل منهما مواجهة الآخر لما كان تحت يد كل منهما من قوات، فعادا كل منهما إلى مركزه دون قتال(2)، و ظل الحال على ذلك من مساهمة تلمسان و نواحيها كندرومة و تاجرا في الصراع السياسي والمذهبي الخارجي الموجه ضد الولاة العباسيين.

ندرومة في عهد الإمارة الإدريسية :

قيام الإمارة الإدريسية(3) في المغرب الأقصى، و تأسيس مدينة فاس عاصمة لها، فتقبلت قبائل المنطقة من مغراوة و بني يفرن و كومية و غيرها سلطة الأدارسة، و هي السلطة التي أقامها أحد العلويين هو إدريس ابن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب، و ذلك بعد أن فر من المشرق مطاردا من العباسيين، فلجأ إلى المغرب متخفيا في زي التجار حتى بلغ مدينة و ليلي بالمغرب الأقصى، و هناك عرض نفسه على الناس فتقبلوه وناصروه مكونا الإمارة الإدريسية سنة 170هـ/790م و مشيدا مدينة فاس عاصمة له سنة 171هـ/791م(4).

1- السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص،ص 247-248 .

2- السلاوي ، الإستقصاء ، ج 1 ص 116 .

3- ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس ، نشر تور ، أبسلا ، 1848 ، ص-ص 11 – 25 ، وأيضا:

- ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج5 ، القاهرة ، مصر ، 1803 م ، ص-ص76 – 90 .

4- ابو عبيد البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا و المغرب (و هو جزء من المسالك و الممالك) ، نشره دوسلان بنصه العربي و الفرنسي, Librairie , A Maisonneuve , Paris, 1965 ص 118 .

و في سنة 173هـ/793م نزل الأدارسة بتلمسان فقبل سلطتهم سلما بنو يفرن من زناتة، و فتحوا لهم أبواب المدينة، و كانت شهرتهم قد بلغتهم، فانضوى تحت لوائهم زعيمهم محمد بن خزر بن صولان المغراوي مع أهل تلمسان و نواحيها و قبلوا إمامته، فتلقى البيعة و دخل تلمسان(1)، و تقديرا منه للمدينة و سكانها شيد لهم جامعا صنع له منبرا، و ذلك في رجب من سنة 173هـ/793م، و فتح للصلاة بعد ذلك في صفر 174هـ794م و كان على لوح المنبر نصا تأسيسيا مضمونه : "بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمر به إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم و ذلك في شهر صفر سنة 174هـ/794م"(2)

و بعد وفاة إدريس الثاني توزعت الإمارة الإدريسية بين أولاده و أحفاده، و كانت تلمسان و نواحيها من نصيب حمزة على ما يذكر ابن أبي زرع(3) بينما تجمع مصادر أخرى على أن متوليها كان ابن عمه سليمان بن عبد الله أخو إدريس بن عبد الله(4)، و كان سليمان هذا قد نزل متنكرا بتاهرت و نواحيها بعد وفاة أخيه إدريس بوليلي من جبل زرهون، حيث حاول استمالة سكان المنطقة و نواحيها فاستنكروه لجهلهم به و بنسبه، و تناهى خبره إلى عمال بني الأغلب، فسعوا في طلبه و التخلص منه ففر منهم، و بفراره صحح نسبه و شاع أمره بين الناس و عرف قدره و التحق بتلمسان فملكها سلما، و أذعنت له زناتة و سائر القبائل بها(5).

1- عبد الرحمان بن خلدون ، كتاب العبر ..... ، مصدر سابق ، مج 4 ص 24 .

ابن أبي زرع ، الانيس المطرب ..... ، مصدر سابق ، ص،ص 7- 8 .

2- إبن ابي زرع ، الأنيس المطرب بروض القرطاس ...، مصدر سابق ، ص 8.

3- نفسه ، ص 38.

4- عبد الرحمان بن خلدون ، كتاب العبر ..... ، مصدر سابق ج 4 ، ص 28.

5- نفسه ، ص 34 .

و بعد ووفاته توزعت نواحي تلمسان بين أبناء محمد بن سليمان، و لم يكن حكم بعضهم فيها يتجاوز حدود المدينة التي يحكمها لدرجة أن كثيرا من المدن أو المناطق حملت اسمهم أو نسبهم العلوي، و كانت هذه المدن و المناطق تتقاطع معها مدن أخرى تتزعمها قبائل أخرى و يتولاها رؤساء زناتيون من بني يفرن أو مغراوة أو مطماطة أو مكناسة(1).

و تسكت النصوص التاريخية عن ذكر منطقة ترارا و مدينة ندرومة، فقد كان اهتمام المؤرخين ينصب على العواصم و الأمصار و ما يدور فيها من أحداث.

و يبدو أن منطقة ندرومة في ظل هذه الأحوال كانت تعيش وضعا أشبه ما يكون بالاستقلال تحت زعامة قبيلة محلية، و ظلت على ذلك حتى ظهرت الدعوة الفاطمية في المغرب و أثمرت عن تأسيس الدولة الفاطمية بالقضاء على الإمارة الأغلبية في إفريقية و الرستمية في تيهرت و ذلك في حدود سنة 296هـ/908 م(2).

ندرومة في العهد الفاطمي :

و قد ركز الفاطميون على المناطق الغربية للمغرب الأوسط و كذلك المغرب الأقصى مما يلي تيهرت و كانت تلك المناطق خاضعة للأدارسة من بني سليمان بتلمسان و نواحيها و بنوا عمربن إدريس في فاس و المغرب الأقصى، فضلا عن مناطق مستقلة لبعض قبائل زناتة.

و كان أمرا طبيعيا أن يصيب تلمسان من سياسة التوسع الفاطمي ما يصيب فاس و هي مطمحهم، فتلمسان في الطريق إليها و قريبة منها و الاستيلاء عليها يتطلب الاستيلاء على تلمسان لموقعها و مكانتها الحضارية و الاقتصادية و التجارية، و لذلك كانت معظم الحملات العسكرية التي يوجهها الفاطميون إلا تمر بتلمسان و ضواحيها.

1- سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ مغرب العربي ، ج2 ،ص 505 –513 .

2- إبن الأثير ، مصدر سابق ..... ، ج 6 ، ص 132 – 133 .

و لتحقيق ذلك عمد الفاطميون إلى اتخاذ تيهرت قاعدة عسكرية لهم تستريح فيها جيوشهم القادمة من إفريقية و منها تعبأ الجيوش و توجه الحملات نحو المغرب، و كانت جهود الفاطميين تتعارض مع سياسة أمويي الأندلس الذين كانوا يخشون التوسع الفاطمي و امتداده إلى المغرب الأقصى مما قد يهدد مصالحهم فيه كما يهدد دولتهم خاصة مع الدعاية الفاطمية فيها، و لذلك و قفوا موقفا حادا و قويا و ألبوا قبائل المغرب الشرقي و منطقة تلمسان و نواحيها ضدهم و أمدوهم بالأموال و السلاح من أجل ذلك عاشت هذه المناطق في فوضى مثلما يقال و في صراع دائم و مستمر لدرجة أن أتخذ ذلك الصراع مظهرا محليا بين القبائل و النواحي يحرك خيوطه الفاطميون و أمويو الأندلس، فاشتد التنافس بين الحسن بن أبي العيش من عقب الأدارسة و موسى بن أبي العافية الزناتي صنيع الأمويين(1).

ندرومة في العهد الحمادي :

و عندما حل الحماديون محل الزيريين و الفاطميين بعد انتقالهم إلى مصر وضعوا أيديهم على المغرب الأوسط.

و يبدو أن ندرومة و ضواحيها كان يلحقها ما كان يلحق تلمسان من الغزو و السيطرة و الاستيلاء، فقد عانت المدينة من جو الصراع الحمادي الزناتي و خاصة في عهد بلكين بن محمد بن حماد(2) و عهد الناصر بن علناس و ابنه العزيز، ففي غزوهم لمدينة فاس و قبائل المغربين الأوسط و الأقصى كانوا يستولون و هم في طريقهم على المدن المهمة و لا شك أن المدينة ندرومة كانت من بين تلك المدن.

1-عبد الرحمان بن خلدون ، كتاب العبر .... ، مصدر سابق ، مج 6 ، ص-ص 273 – 275 ، و أيضا - رشيد بورويبة ، تاريخ الجزائر السياسي في عهد الفاطميين ، تعريب محمد بلقراد، في : الجزائر في التاريخ ، ج3 ، عصر الإسلامي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1984 ، ص -ص151 – 155.

2- رشيد بورويبة ، الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1977 ، ص-ص 15 –18 .

ندرومة في عهد المرابطين :

الدولة المرابطية(1)، دولة قامت على أسس دينية إصلاحية مثلما يدل عليها اسمها، أقامتها قبيلة صنهاجية باتحادها مع قبائل أخرى كجدالة و لمتونة و مسوفة و لمطة، و هي قبائل كانت تمتد على مناطق شاسعة في الجنوب و حوض نهر السنغال الحالي.

و ترجع الجهود في إقامة هذه الدولة إلى فقيه مالكي من منطقة السوس استقدمه زعيم قبيلة جدالة لتفقيه قومه في أصول الدين، فتطور الأمر إلى إقامة دولة ما لبثت أن أخذت في التوسع شمالا على حساب القبائل المتصارعة في ربوع المغربين الأقصى و الأوسط فارضة عليه وحدة سياسية و نمطا من الحياة أساسها الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، حتى تمكنت من إخضاع جل القبائل و بناء عاصمة لها، هي مدينة مراكش سنة 456/1063م، و منها امتد نفوذها إلى المغرب الأوسط(2).

و في حدود 472هـ/1079م وصل المرابطون إلى تلمسان في غزوة وجه فيها يوسف بن تاشفين قائده التلكاتي في جيش كبير استولى على تلمسان و قتل أميرها العباس بن بختي، و في السنة التالية 473هـ/1080م غزا يوسف بن تاشفين بنفسه للمرة الثانية المغرب الأوسط : "فافتتح مدينة وجدة و بلاد بني يزناسن ثم افتتح مدينة تلمسان و استلحم من كان بها من مغارة ... و أنزل بها محمد بن تينعمر المسوفي في عساكر المرابطين فصارت ثغرا لملكه... ثم افتتح مدينة تنس و وهران و جبل ونشريس إلى الجزائر و انكفا راجعا إلى المغرب..."(3).

1- عبد الرحمان بن خلدون ، مصدر سابق ، مج 6 ، ص 373 – 390 ، و أيضا ،
- A. Benachenhou , La Dynastie Almoravide et son Art , Alger 1974 , et :
- H. Terrasse , L'Art Hispano- Mauresque des Origines au XIII éme Siecle Paris , ED G. Van Oest , 1932 , P 217 – 223 .

2- السيد عبد العزيز سالم ، مرجع سابق ، ج2 ، ص،ص 704 – 705 .

3- عبد الرحمان بن خلدون ، مصدر سابق ، مج 6 ، ص،ص 380 – 381 .

و لا شك أن دخول تلمسان تحت حكم المرابطين سبقه دخول ندرومة و نواحيها و المناطق الممتدة حولها في حكمهم.

و يبدو أن يوسف بن تاشفين وجد مناصرين له في ندرومة كما وجد المدينة على درجة من الأهمية جعلته يوليها عنايته ببناء جامع لها تحت إشراف قاضيه على سبتة أبو محمد عبد الله بن سعيد.

و الواقع أن المرابطين قاموا ببناء جوامع في كل المدن الهامة بالمغرب الأوسط فقد فعلوا ذلك في الجزائر و في تلمسان(1) و يبدو أن ندرومة كانت ذات أهمية كبيرة بدورها فحباها المرابطون ببناء ذلك الجامع.

و يرجح الأستاذ بورويبة أن يكون السور الذي ذكره البكري و الذي بمدينة ندرومة من بناء المرابطين(2)، و السور و الجامع يدل كل منهما على أهمية المدينة ووضعها موضع الأمصار و المدن الكبيرة، و إن لم تكن عاصمة أو مصرا كبيرا فهي مركز حضاري إقليمي.

و قد ظلت ندرومة تحت ظل الدولة المرابطين خانعة إلى الهدوء و الاستقرار، تنموا على مر الأيام و تتطور و شأنها يتعاظم حتى سقوطها و قيام الدولة الموحدية.

1- R. Bourouiba , L'Art Religieux Musulman en Algerie , Algezr S.N.E.D. 1973 , P72 – 74 .

2- R. Bourouiba , L'Architecture Militaire de L'Algerie Medievale , Alger , O.P.U , 1983 P 93 .

ندرومة في العصر الموحدي

و هي دولة شبيهة بالدولة المرابطية(1) من حيث قيامها على أسس دينية إصلاحية، و تنسب إلى رجل فقيه عالم، هو محمد بن تومرت الهرغي السوسي، من مصامدة جبال الريف، و هو داعيتها و موجهها ، شعارها التوحيد، و التوحيد مذهبها و هو الاسم الذي أطلق على أتباعها و على المنطقة التي توسعت فيها، وقد استطاع بفضل أحد أتباعه و أصحابه و هو عبد المؤمن بن علي الكومي الندرومي(2) المتسم بالقوة و الشجاعة و الدهاء، أن يسلب الحكم من المرابطين و يقضي على دولتهم و هي في أشد قوتها و شبابها.

و يرجع الفضل أساسا في قيام الدولة و استقرارها و توسعها إلى عبد المؤمن فقد لعب دورا كبيرا في تنظيمها و أعلاء شأنها، و موطنه المغرب الأوسط من قبيلة كومية العتيدة القاطنة بجبل تاجرا بمنطقة ندرومة على بعد ثلاثة كلم من مرسى هنين من إقليم تلمسان.

و لعبت قبيلة عبد المؤمن الندرومية دورا أساسيا و خطيرا في الصراع الموحدي-المرابطي، و كانت مدفوعة لمناصرة و الوقوف إلى جانب الموحدين في مواجهة المرابطين بعصبيتها، و بفضلها تمكن عبد المؤمن من إحراز انتصارات عسكرية وسياسية كبيرة على خصومه من القبائل و المرابطين.

1- ألفرد بل ، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم ، ترجمة عبد الرحمان بدوي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان 1981 ،ص 248 و ما بعدها ، و أيضا - عبد المجيد النجار ، المهدي بن تومرت ، حياته و أرائه ، و ثورته الفكرية و الإجتماعية و أثاره بالمغرب ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان، 1983 .

2- عبد الله علي علام ، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 1971 .

و كانت ندرومة و نواحيها قد انضوت تحت لوائه و دخلت تحت طاعته قبل تلمسان نفسها(1) كما وجد في سكانها موردا بشريا قويا ألحقه بجيوشه و إدارة دولته و خاصة بعد أن استخلص الحكم لأسرته من يد المصامدة، فاعتمد عليهم في إدارة شؤون الدولة و قيادة الجيوش، و أعدهم إلى تلك المهمات بذكاء و فطنة، و بث منهم ما يزيد عن الثلاثة آلاف بين علماء المصامدة و أذكيائهم و فطنائهم، يتلقون العلم و يحصلون على المعارف و الفنون التي تمكنهم من الاضطلاع بالمسؤوليات التي تنتظرهم حتى فاقوا الذين تدربوا على أيديهم، فعرضهم عبد المؤمن يوما على أشياخ الموحدين طالبا منهم التخلي عن مسؤولياتهم و وظائفهم لصالح الشباب المتعلم و يتفرغون هم للاستشارة و التوجيه(2).

و بعد التحاق منطقة ندرومة بعبد المؤمن أخذ الصراع المرابطي-الموحدي في تلمسان و ضواحيها مجرى آخر بعد المعركة الفاصلة بين الفريقين، فقد نزل المرابطون بموضع صفصيف بينما نزل الموحدون بالصخرتين إلى الشمال الغربي لتلمسان، و لم يوفق المرابطون في ضرب الموحدين و تأكد لأميرهم تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين أنه أخطأ النزول بالمدينة لأن نواحيها كانت قد انضمت لأعدائه، فتحول عنها إلى وهران و تبعهم الموحدون في جيوش جرارة من قبائل زناتة كبني يلومي و منهم بنو عبد الواد و بنو توجين و غيرهم(3).

و في وهران أحاطت الجيوش الموحدية بالمرابطين و تمكنوا من إحداث الاضطرابات في صفوفهم و اقتحامهم لحصن تاشفين بن علي، مما اضطره إلى الفرار و لكنه سقط من على ظهر جواده و قتل و كان ذلك في 27 رمضان 539هـ/1144م و بذلك سقطت الدولة المرابطية(4)

1- عبد الرحمان بن خلدون ، المصدر نفسه ، مج 6 ، ص 260.

2- عبد الرحمان الجيلاني ، تاريخ الجزائر العام ، ج2 ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1980 ، ص 8

3- عبد الرحمان بن خلدون ، المصدر نفسه ، مج6 ، ص 477 .

4- عبد الله علي علام ، المرجع نفسه ، ص 131 .

و يبدو أن ندرومة مثلها مثل المنطقة بكاملها ظلت علـــى ولاءهـــا للدولـــة الموحدية، تخدمها و تنتفع بخدماتها كما ظلت كعمالة من أعمال تلمسان، و لا شـــك أن المنطقة حظيت باهتمام عبد المؤمن و خلفائه، و أن ندرومة تلقت العديد من المباني و أن خطتها اتسعت بفضل الاستقرار الذي عرفته و أن عدد السكان قد ازداد فيـــها بفضل ازدهارها و هو ما سوغ لعبد المؤمن تجديد جامعها الكبير وفاء لبـــني جلدتـــه كومية و ذلك بدلا مما يذهب إليه الدكتور علي علام من أنه بني علـــى يـــد عبـــد المؤمن(1)، ذلك أنه مثلما ذكرنا من منشآت المرابطين. ولا يمنع أن يكون الموحـــدون قد جددوا أسوار المدينة على غرار ما فعلوه في معظم المدن المغربية و خاصة مع الفـــتن التي أثارها ابن غانية للدولة الموحدية في المغربين الأدنى و الأوسط، و قد أثبتت تلـــك الفتن أهمية إحاطة المدن بالأسوار الدفاعية و التحصينات مثلما فعل الموحـــدون مـــع أسوار تلمسان من حيث تجديدها و تقويتها(2) و لا شك أنها كانت نموذجا في بقيـــة المدن بما في ذلك ندرومة.

لقد كانت لمساعدة بني يلومي و منهم بنو عبد الواد للموحدين و انحيازهم إلى صفهم في صراعهم مع المرابطين و مع بني غانية فيما بعد، أثر في إقطاع عبد المؤمن بن علي لهم سهول المناطق الممتدة بين تلمسان و وهران و إطلاقهم ليدهم فيها و خاصـــة لمساعدتهم لهم إبان غزو بن غانية للمنطقة مما أدى إلى تعيين يغمراسن بن زيان العبـــد الوادي عاملا على تلمسان و نواحيها و منها ندرومة، و هو منصب لم يكن يتـــولاه قبل ذلك غير الأمراء من البيت الحاكم(3) .

1- علي عبد الله علام ، المرجع نفسه ، ص 183 .

2- السيد عبد العزيز سالم ، المرجع نفسه ص 836 .

3- شارل أندري جوليان ، تاريخ إفريقيا الشمالية ، العصر الإسلامي ، تعريب محمد مزالي و البشير بـــن سلامة ،ج2 ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1978 ، ص،ص 200-201 .

و قبل تولي يغمراسن وقعت أحداث في تلمسان استغلها بنو عبد الواد إلى السلطة و خاصة على يد يوسف بن جابر الذي عينه الخليفة الموحدي المأمون على تلمسان و نواحيها نظير إفشاله لمشروع إعادة إحياء الدولة المرابطية بالاتفاق مع بقاياها و بقايا بني غانية الذي كان بطلهم إبراهيم بن إسماعيل بن علان الصنهاجي و هو زعيم بقايا المرابطين بتلمسان(1).

غير أن مدينة ندرومة رفضت الخضوع ليوسف بن جابر من بني عبد الواد و هو أخو يغمراسن بن زيان على خلاف بقية حواضر المغرب الأوسط التي رضيت به و ربما كان ذلك الموقف أنفة منها من حاكم من غير الأسرة المؤمنية الموحدية أو لكونه من غير قبيلة كومية فتوجه إليها يوسف بن جابر ضاربا حولها حصارا شديدا يقاتلها من خارج أسوارها، و هي ممتنعة عليه، و رماه أحد الجند من أعلى سورها يدعى يوسف الغفائري بسهم أصابه فقتل و ذلك سنة 629هـ/1231م(2) و بموته خلفه ابنه الحسن، ثم ترك الحكم لعمه عثمان ابن يوسف و لكن سكان المدينة أخرجوه منها و طردوه من الحكم لغلظته و فظاظته و فساد سريرته و عراكه الدائم مع الناس و كان ذلك سنة 631هـ/ 1233م بعد سنة و نصف من بداية حكمه خلفه أبو عزة زجدان بن زيان بن ثابت بن محمد و لكنه قتل خارج تلمسان سنة 633هـ/1235م في حرب بين بني عبد الواد و بني راشد، فتولى الحكم بعده باجماع الناس أخوه يغمراسن(3) فاستقل بالمغرب الأوسط عن الموحدين و محى رسوم دولتهم و لم يبق منها غير الدعوة لها على المنابر.

1- يحي بن خلدون ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، تحقيق عبد الحميدحاجيات ، منشورات المكتبة الوطنية الجزائر ، 1980 ، ص 199 .

2- يحي بن خلدون ، نفسه ..... ، ص 200 .

3- يحي بن خلدون ، نفسه، الصفحة نفسها.

ندرومة و الصراع الزياني – المريني :

ظلت مدينة ندرومة و نواحيها بعد قيام الدولة الزيانية(1) إحدى أعمالها الغربية الهامة إلا في أوقات قليلة كانت تخضع للمرينيين عند مقدمهم لحرب تلمسان و حصارها، و لكنها لا تلبث أن تعود لحضيرة الدولة بعد عودة بني مرين إلى بلادهم.

و الواقع أنه كان يصيب المدينة ما كان يصيب تلمسان بل ربما كانت إصابتها أشد لأن بني مرين و هم في طريقهم إلى تلمسان كانوا يلجؤون إلى غزو ندرومة و فتحها و كثيرا ما كان يتم ذلك عنوة فتخضع المدينة للقانون التقليدي من تقتيل الغالب للمغلوب و تنكيل الفاتح بسكان المدينة لمقاومتهم له.

و قد استقرت أحوال ندرومة في عهد يغمراسن و التزمت طاعته طيلة حكمه بالرغم مما كان يصيبها على يد بني مرين فالنصوص التاريخية لا تشير إلى أي اضطراب وقع فيها أو انحياز لها عن تلمسان و ربما كان ذلك لرضا بني عبد المؤمن على يغمراسن و خاصة في عهد الخليفة المأمون و الرشيد و مهاداة هذا الأخير و له التحالف معه ضد بني مرين(2)، و ذلك إذا ما استثنينا تلك الفترات التي يشتد فيها الصراع بين الطرفين و يتقدم فيها بنو مرين نحو تلمسان لحصارها و لا شك أن مدينة ندرومة كانت خلال هذه الغزوات تضطر إلى التسليم أو المقاومة التي تنتهي بالتسليم و التنكيل بها و ذلك مثلما يبدو في حركة السلطان المريني أبي يوسف إلى تلمسان على اثر معركة وادي ايسلي التي انتهت بهزيمة يغمراسن و مطاردته إلى عاصمته سنة 670هـ /1271م، و خلال ذلك كان المرينيون قد استولوا على حصن تاونت وهو معقل قبيلة مطغرة حليفة يغمراسن، فشحنه المرينيون بالعدة و العتاد و الأقوات و جعلوا عليه تابعا لهم من نفس القبيلة هو شيخها، و ظل الحال على ذلك حتى استرده سنة 675هـ/1276م(3).

---

1 – عبد الرحمان بن خلدون ، مصدر سابق ، مج7 ، ص 162 –163 .

2– عبد الرحمان بن خلدون ، نفسه ، مج7 ، ص 164 .

3– يحي بن خلدون ، مصدر سابق ، ص 209 .

و لا شك أن مدينة ندرومة كان مصيرها كمصير تاونت خضعت للمرينيين سلما أو حربا، فقد تعرضت في عهد عثمان ابن يغمراسن إلى غزوات كثيرة على يده تحقيقا لمشروعهم في إعادة توحيد المغرب تحت رايتهم مثلما كان عليه أيام الموحدين و لتحقيق ذلك كان لابد من استئصال و الاستيلاء على تلمسان مفتاح المغرب الأوسط و بوابة إفريقية، و أدرك بنو عبد الواد ذلك و تيقنوا من مطامع بني مرين فذادوا عن حوضهم بسلاحهم ووقفوا موقفا حادا منهم تأمينا لوجودهم و حفاظا على استقلالهم، و كان يغمراسن قد أوصى ابنه عثمان بعدم التعرض لبني مرين و التوسع شرقا على حساب بني حفص و الإمارات و القبائل المجاورة(1) شرق تلمسان و جنوبها و التزام أسوار عاصمته إذا قدم عليه بنو مرين لتفوقهم عليه عددا و عدة و عدم قدرته عليهم.

ففي سنة 689هـ/1290م خرج أبو يعقوب لحصار تلمسان، فنزل بذراع الصابون من ظاهرها و لكنه لم يستطع اقتحامها فأفرج عنها و عاد إلى فاس(2) و يبدو أن ندرومة تعرضت خلال هذه الحملة إلى الهجوم عليها، فقد كان المرينيون يرسلون فرقهم العسكرية للمدن الواقعة على الطريق الذي يسلكونه في حملتهم لإخضاعها مثل تاونت (الغزوات) و هنين و ندرومة، وفي سنة 695هـ/1295م تجدد الصراع بين الفريقين خرج فيه أبو يعقوب المريني للمرة الثالثة لغزو تلمسان، فنزل بمدينة ندرومة بعد أن خرب مدينة وجدة و كانت تابعة للزيانيين، و يبدو أن ندرومة استعصت عليه بالرغم من حصارها و التضييق عليها فتركها و عاد إلى بلاده(3).

و كانت الغزوة الثالثة للمرينيين على تلمسان سنة 696هـ/1296م فنزلوا بذراع الصابون من ساحتها لحصارها و لكنهم لم يتمكنوا منها(4).

1- عبد الحميد حاجيات ، أبو حمو موسى الزياني حياته و آثاره ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 1974 ، ص 14 .

2- يحي بن خلدون، مصدر سابق ، ص209 .

3- السلاوي ، مصدر سابق ، ج3 ،ص 76 .

4- عبد الرحمان بن خلدون ، مصدر سابق ، مج 7 ، ص 455 .

و في السنة الموالية 697هـ/1297م خرجوا في حملتهم الرابعة فنزلوا بأفران الجيار إلى الشمال من المدينة (1) و تركوا حامية كبيرة بمدينة وجدة تباشر قتال المدن الحدودية بين الدولتين مع الساعات و الأحايين مثلما يذكر ابن أبي زرع(2)متبعين سياسة الأرض المحروقة من التهديم و التخريب و إفساد الطرق و حرق الزروع و الأغراس. و لا شك أن مدينة ندرومة و ضواحيها كانت أكثر هذه المدن معاناة و أشدها تعرضا للضغط و التخريب باعتبارها أهم تلك المدن و بسبب ذلك اضطربت أحوال الناس و إشتد عليهم الضيق ، فاستصرخت ندرومة عثمان بن يغمراسن فلم تتلق منه جوابا لانشغاله في حملات تأديبية في بلاد بني توجين لمساعدتهم أعدائه(3) فلم تستطع ندرومة الصبر من شدة ما أصابها من الضغط و الأذى، فاضطرت إلى التسليم و الانحياز إلى أبي يعقوب المريني مؤوية له فروض الطاعة و الولاء طالبين منه الأمن و الأمان لأهلها و سكانها(4) و ذلك بعد أن انصاع قائد عثمان بن يغمراسن للمرينيين و هو زكريا بن يخلفتن الذي خلع الطاعة للزيانيين.

و يبدو أن مكانة ندرومة و شهرتها كانت كبيرة ليس بالنسبة لتلمسان فقط و لكن لكل مدنها و بواديها و هو ما يعبر عنه يحي بن خلدون بسبب تلك في قوله : "... فاضطربت أرجاء حضرته نارا لذلك ...(5).

1- يحي بن خلدون ، مصدر سابق ، ص 209 .

2- ابن أبي زرع ، مصدر سابق ، ص 236 .

3- يحي بن خلدون ، مصدر سابق ، الصفحة نفسها .

4- عبد الرحمان بن خلدون ، مصدر سابق ، مج 7 ، ص 456 .

5- يحي بن خلدون ، مصدر سابق ، الصفحة نفسها.

لقد شجع انحياز ندرومة لبني مرين السلطان أبا يعقوب على غزو تلمسان للمرة الخامسة، فالتحق بحاميته في وجدة واتجه بجيوشه إلى تلمسان فنزل بضاحيتها الغربية بمكان يعرف باسم مجشر بن الصقيل ضاربا طوقا من الحصار حول المدينة و هو الحصار المعروف في التاريخ باسم الحصار الطويل الذي دام ما يزيد عن سبع سنوات، و لم ينته إلا بمقتل أبي يعقوب نفسه على يد أحد خدمه في قصره بمدينة المنصورة التي أسسها في موضع معسكره في انتظار افتتاح تلمسان(1).

و ظلت ندرومة طيلة سبع سنوات و هي مدة حصار تلمسان، مثلها مثل مدن المغرب الأوسط بأكمله، تحت السيطرة المرينية و إحدى مدنهم، و لكنها تعود مرة أخرى لحضيرة الدولة الزيانية بعد انسحاب المرينيين من المغرب الأوسط على إثر مقتل سلطانهم.

و بقيت ندرومة على ولائها للزيانيين منذ ذلك الوقت حتى تجدد الصراع بين بني مرين و بني عبد الواد سنة 714هـ/1314م على عهد السلطان المريني أبو سعيد و ذلك بسبب نقد بني عبد الواد لبنود معاهدة الصلح بينهما فضلا عن إستقبال أمراء بني عبد الواد للثوار الخارجيين عن الحكم من البلاط المريني(2)

و قد أقبل أبو سعيد على تلمسان يجر جيشا كبيرا مرورا بوجدة و المدن الحدودية حتى نزل بأسوار المدينة محاصرا لها، و خلال الحصار و كانت فرقة عسكرية تجوب ضواحي تلمسان و مناطقها و مدنها مثخنة فيها مخربة عمرانها و منتسفة زروعها(3)، و لا شك أن ندرومة كانت من بين تلك المدن و المناطق التي تعرضت للضغط المريني، غير أن النصوص التاريخية تسكت عن وصف ما حدث لها هذه المرة.

1- عبد الرحمان بن خلدون ، مصدر سابق ، مج 7 ،ص-ص 457 – 459 ، و أيضا
- يحي بن خلدون ، مصدر سابق ، ص 210 ، و أيضا
- ابن أبي زرع ، مصدر سابق ، ص 267 – 268 .

2- ابن أبي زرع ، مصدر سابق ، ص 272 ، و أيضا السلاوي ، مصدر سابق ، ج3 ، ص 99 .

3- السلاوي ، مصدر سابق ، ص 105 .

و تعكر الجو السياسي من جديد سنة 735هـ/1334م بين بني مرين و بني عبد الواد ذلك بسبب سياسة التوسع الزياني التي انتهجها أبو تاشفين عبد الرحمن على حساب بني حفص أصهار أبي الحسن المريني الذي تدخل شفيعا لهم عند أبي تاشفين، فردت شفاعته، وكان ذلك بداية لعودة الصراع بينهما فاتفق بنو مرين و بنو حفص على غزو تلمسان(1) فخرج أبو الحسن لحصارها مرورا بوجدة فنزل بمدينة ندرومة حيث قاتلها يوما و دخلها عنوة فقتل حاميتها و نكل بسكانها لمقاومتهم له و عند مغادرته لها حامية(2)، فوصل إلى تلمسان و نزل بمغربها في مدينة المنصورة، مدينة جده أبي يعقوب و نصب عليها آلات الحصار و باشرها بالقتال حتى تمكن من افتتاحها عنوة بعد سنتين و في دخولهم لها قتل سلطانها أبو تاشفين عبد الرحمن و أولاده و خواصه(3) و بذلك دخلت تلمسان و قبلها ندرومة للمرة الأولى تحت حكم بني مرين.

و قد واصل أبو الحسن طريقه بعد مدة لافتتاح إفريقية و الاستيلاء على بلاد بني حفص و ذلك سنة 748هـ/1348م مرورا ببجاية. و فيها اقطع أبو الحسن مدينة ندرومة و نواحيها إلى صاحب بجاية الحفصي أبا عبد الله بن أبي زكرياء مقابل تخليه عنها لأحد عماله و أنزله بها و صرف إليه جبايتها(4) .

1- عبد الرحمان بن خلدون ، مصدر سابق ، مج7 ، ص 226 و أيضا السلاوي ، نفسه ، ص 119 .

2- عبد الرحمان بن خلدون ، مصدر سابق ، مج7 ، ص 533 .

3- عطاء الله دهينة ، الغزو المريني لتلمسان -في -الجزائر في التاريخ،ج3 ،ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984 ،ص-ص 389 - 390

4- عبد الحميد حاجيات ، أبو حمو موسى الزياني ... ، ص 71 ،و أيضا

- محمد عيسى الحريري ، تاريخ المغرب الإسلامي و الأندلس في العصر المريني ، دار القلم للنشر و التوزيع ، الكويت ، 1987 ، ص 118 .

و ظلت ندرومة على ذلك من الولاء للمرينيين فارضين عليها طاعتهم على غرار بقية مناطق المغرب الأوسط، و ذلك حتى هزيمة أبي الحسن أمام القيروان على يد عرب النواحي و ما تبع ذلك من إشاعة مقتله في المعركة ووثوب ابنه أبي عنان على الحكم و رفضه التنازل عنه بعد وصول الأخبار بأن أباه على قيد الحياة(1).

و قد أدت الهزيمة إلى محاولة الزيانيين إعادة إحياء دولتهم فتحالف الأخوان وأبا ثابت الزعيم و أبا سعيد مع أبي عنان للتصدي لأبيه و حربه، فتمكنوا بذلك من إحياء الدولة و استرجاع تلمسان عاصمتها و كان ذلك سنة 749هـ/1348م(2) و عندما كان الأخوان أبو سعيد و أبو ثابت في مهمتهما لإحياء الدولة و مصارعة بني مرين و المناطق الداخلة في طاعتهم بالمغرب الأوسط اغتنمت منطقة كومية كهنين وندرومة و غيرهما من مدن و قرى السواحل الغربية لتلمسان جو الصراع و حالة الأوضاع غير المستقرة لتعلن استقلالها عن المرينيين و الزيانيين معا و دعا شيخ كومية بالمنطقة، وهو من بني عابد قوم عبد المؤمن بن علي لنفسه، فازدادت الأوضاع اضطرابا لذلك و اشتدت الفتنة فخرج إليهم أبو ثابت غازيا و دخل هنين و ندرومة عنوة فاستباحهما قتلا و سبيا و في مقدمتهم زعيم الثورة الذي أسره أبو ثابت و سجنه في تلمسان ثم تخلص منه بعد أشهر(3)، و بذلك عادت ندرومة مرة أخرى إلى حضيرة الدولة الزيانية.

1- السلاوي ، مصدر سابق ، ج3 ، 164 .

2- يحي بن خلدون ، مصدر سابق ، ص 236 – 237

- السلاوي ، نفس المصدر ، ج3 ، ص 171 - 172

3- عبد الرحمان بن خلدون ، مصدر سابق ، مج7 ، ص 244 .

و تجدر الإشارة إلى أن أبا الحسن عندما احتل تلمسان نقل معظم أمراء بني عبد الواد للعيش في مدينة فاس لإبعادهم عن موطنهم و تيسير مراقبتهم، غير أن هزيمة القيروان و ما تبع ذلك من اضطراب أحوال المغربين الأوسط و الأقصى و انبراء الأخوين أبي سعيد و أبي ثابت لإحياء دولتهم عجلت بعودة هؤلاء الأمراء إلى بلادهم و كانت في مقدمتهم عائلة أبي يعقوب والد أبي حمو موسى الثاني مع ابن عمه زيان و أبي سعيد و كان ذلك 750هـ/1349م و قد فضلت عائلة أبي حمو الاستقرار في ندرومة بعيدا عن أي نشاط سياسي، و فيها تزوج أبو حمو من سيدة لا تذكر المصادر التاريخية شيئا عنها، و ولد له فيها أكبر أولاده أبو تاشفين سنة 752هـ/1351م(1).

و يرجع الدارسون الأسباب التي أملت على أبي يعقوب و ابنه أبي حمو الانعزال في ندرومة و الانقطاع بها حبا في العبادة و الزهد على ما تذهب إليه المصادر و لكن أبا يعقوب كان أكبر اخوته و هو مقام يفرض التقليد أن يتبوأ كرسي الحكم و اكن الظروف السياسية و الاضطرابات القائمة في البلاد جعلته ينظر للأمر نظرة أخرى فانعزل في ندرومة، و كان انعزاله فيها تعبيرا منه لاخوته عن خلو ذهنه من أي طموح سياسي أو رغبة في الحكم خصوصا وأن الصراع على أشده بين دويلات المغرب و قبائله و بين أمراء عائلة الدولة الماحدة، و هو ما دفع الاخوان أبا سعيد و أبا ثابت إلى النهوض لاعادة إحياء الدولة الزيانية دون تخوف من أخيهما الأكبر أبا يعقوب والد أبي حمو المنعزل في ندرومة(2).

1- عبد الحميد حاجيات ، السلطان أبو حمو موسى الثاني سياسته و أدابه ، مجلة تاريخ و حضارة المغرب ، العدد 8 ، جانفي 1970 ، ص 8 .

2- عبد الحميد حاجيات ، أبو حمو موسى الزياني ... ، ص-ص، 73 – 75

و لا شك أن ندرومة ظلت تحت حكم بني مرين و تابعة لدولتهم في عهد أبي عنان فارس، ذلك أنه ما إن أعاد أبو حمو موسى الثاني إحياء الدولة الزيانية للمرة الثانية عام 759هـ/1360م حتى بادرت ندرومة مع من بادر من مدن أخرى كوجدة و هنين إلى مبايعة أبي حمو و أوفدت وفودها إليه(1) و هو بتلمسان، و ذلك أمر يبدو طبيعيا فالسلطان الزياني الجديد أبو حمو لم يتنكر لدى أهل ندرومة فقد أقام بينهم مدة من الزمن مثلما ذكرنا، و هو فوق ذلك صهرهم لزواجه من سيدة منهم على ما يرجح و مما لا شك أن هذه العلاقة سيكون لها أثر قوي في التزام ندرومة صف أبي حمو في صراعه الطويل مع بني مرين من جهة ومع أمراء البيت الزياني كمحمد بن عثمان بن أبي تاشفين الملقب بالقبي و بعده ولده أبو تاشفين الذي ولد في ندرومة من جهة أخرى، و كان بنو مرين قد لجؤوا إلى تأليب البيت الزياني على أبي حمو و إثارة التنافس بين أمرائه و خاصة على يد السلطان أبي سالم و السلطانين عبد العزيز و أبي العباس و قام بعض هؤلاء السلاطين فضلا عن ذلك بغزو تلمسان و احتلالها لمدة قصيرة و كان أبو حمو يضطر إلى ترك عاصمته عند مقدمه و يقوم بالاغارة على الجهات الشرقية من بلاده قاطعا خطوط المواصلات و الإمدادات بينهم وهم في تلمسان و بين فاس عاصمتهم ملحقا أضرارا كبيرة بتلك المناطق و هو ما يجعلهم يعودون إلى بلادهم تاركين تلمسان فيسترجعها أبو حمو.

و كان الصراع بين أبي حمو و بين بني مرين و بينه و بين أمراء بيته منحصرا في الجهات الشرقية و الجنوبية الشرقية من تلمسان و قد دام ذلك الصراع حتى مقتله سنة 791هـ/1388م على يد جند ابنه أبي تاشفين(2).

1- عبد الحميد حاجيات ، إحياء الدولة الزيانية – في- الجزائر في تاريخ ،العصر الإسلامي ، ج3 ،الموسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1984 ، ص 402 .

2- عبد الرحمان بن خلدون ،كتاب العبر.... ، مج 7 ، ص-ص 254 – 306 .

- عبد الحميد حاجيات ، أبو حمو موسى الزياني ... ، ص-ص 93 – 154 .

و لم تذكر النصوص التاريخية شيئا عن حالة المناطق الغربية من تلمسان و مدنها و علاقتها بذلك الصراع في الجهة الشرقية، و لكنه يرجح أنها انكمشت على نفسها تحت زعامات محلية كبني عبيد مؤدية فروض الطاعة الصورية لأبي حمو أو أي متغلب على المنطقة نازعة إ لى الإمساك عن تقديم الأموال للمتصارعين إلا إذا وجدت نفسها مرغمة على ذلك لتعود إلى حالتها الأولى في أول فرصة.

و لا نكاد نحصل على أي معلومة عن ندرومة و مناطقها في الفترة الممتدة بين وفاة أبي حمو الثاني و سقوط الدولة الزيانية نهائيا سنة 962 هـ/1554م على يد الأتراك العثمانيين.

غير أن باسي يرجح أن المنطقة أستغلت ضعف الدولة الزيانية و قررت قبائلها المكونة من ذوي عبيد الله و المعاقل العربية أن تفرض على السلطان الزياني إلحاق المنطقة الممتدة بين تلمسان ووجدة، و وضعها تحت إشرافهم و هي وجدة و ندرومة و بني يزناسن و مديونة و بني سنوس، كما فرضت عليه التخلي عن المطالبة بالضرائب التي إعتادت الدولة المطالبة بها و جعلها بين أيديهم(1).

1- H. Basset , OP , Cit , P 15 .

2-3- ندرومة في العهد العثماني :

انهيار الدولة الزيانية و قيام الحكم العثماني في الجزائر و ندرومة خلال ذلك :

إن الظروف التي آلت إليها دولة الزيانية منذ أواخر القرن 9هـ/15م من ضعف لأسباب كثيرة منها الصراع السياسي و العسكري على الحكم بين الأمراء الزيانيين و بين الدولة الزيانية و بني مرين و بينها و بين القبائل المناوئة فضلا عن صراعها مع الحفصيين، كل ذلك أدى إلى فراغ سياسي في المنطقة يصفه أحمد توفيق المدني كما يلي: "... لقد أخذ صرح بني عبد الواد يتساقط منذ ركن ملوك هذه الدولة إلى التواكل و التخاذل، و تثاقلهم عن القيام بالمصالح العامة و انشغالهم بالوصول إلى الرئاسة، و الاهتمام بأنفسهم، فسقطت هيبتهم من أعين الرعية .... و استبد الولاة و رؤساء القبائل و الشيوخ و عمال الجهات وولاة النواحي و قادة الجيش بما اتصل بأيديهم من أسباب الولاية و الحكم ...."(1).

و هو ما أدى بكل تأكيد إلى انغلاق كل منطقة على نفسها و الاستقلال بذاتها، و يرجح أن منطقة تاجرا و ندرومة كانتا مستقلتين عن الدولة باستثناء مدينة هنين باعتبارها مرسى تلمسان و قلبها التجاري و الاقتصادي و فيها كانت ترسو السفن و تحط أحمال التجارة و السلع .

و نظرا لتلك الأهمية قام السلطان الزياني بتحصينها و تقوية دفاعاتها عندما احتل الاسبان المرسى الكبير في وهران و وهران نفسها في 911هـ/ 1505م و ذلك خوفا من احتلال الاسبان لها و يعني ذلك نهاية الدولة و زوالها و لأن ما تبقى لها من الحياة مرتبط بما يجلبه مرسى هذه المدينة من تجارة و أموال(2). ذلك أن جل المناطق الأخرى لم تعد تدفع الضرائب للخزينة و بالفعل فان ما كان الزيانيون يخشوه حدث، فقد بادر الاسبان إلى احتلال المدينة سنة 938هـ/1531م.

1- أحمد توفيق المدني ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و اسبانيا الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر (د.ت) ،ص 70 .

2- محمد بن عمرو الطمار ، تلمسان عير العصور ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص 231 .

و ذلك لإحكام القبضة على تلمسان الزيانية إستعدادا لإخضاعها إلى سلطتهم أو نفوذهم و إرغامها على تنفيذ ما يرونه لها. و لا شك أن إحتلال المرسى لو يكن سهلا و أن السكان دافعوا على دولتهم و تمكنوا من قتل ما يزيد عن أربعين جنديا إسبانيا بالتعاون مع سكان المنطقة في الدفاع عن أراضيهم(1).

ربما كانت ندرومة قد ساهمت في المقاومة، فالمنطقة كانت تحت مراقبة قبيلة كومية أو مطغرة و كانت ندرومة شبه مستقلة، إذ يصف حسن الوزان أن المدينة أي ندرومة قائلاً : "...كان السكان... تقريبا أحرارا لكونهم تحت حماية جيرانهم الجبليين (قبيلة مطغرة) فالملك (سلطان تلمسان) لا يستطيع أن يحصل على أي خراج من هذه المدينة، لأن العمال الذين يوفدهم إليها إنما يقبلهم السكان إذا رضوا عنهم و إلا رفضوهم و ردوهم على أعقابهم، ومع ذلك فإنهم يرسلون أحيانا إلى الملك هدية بسيطة ليتمكنوا من إدخال سلعهم إلى تلمسان(2). و بذلك شحت الأموال على خزينة الدولة فلم تعد قادرة على الدفاع على نفسها و لا إسترداد ما أخذه منها الإسبان من المراكز و المدن العديدة.

لقد أنجبت ندرومة في أواخر الفترة الزيانية بعض العلماء، فقد يشير ابن مريم إلى اثنين منهم أحدهما هو أحمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الأستاذ الندرومي التلمساني و كان قد تتلمذ على ابن مرزوق الحفيد ثم رحل بعد ذلك إلى القاهرة فدرس بها و قام بشرح مختصر شيخه ابن مرزوق، و كان حيا بعد 830هـ/1427م كما ذكر عالما آخر هو أحمد بن ملوكة الندرومي و هو أستاذ علي بن يحي السكسيني الجادري و كان عالما و خطيبا و فقيها و محققا برز في علوم كثيرة و توفي سنة 772هـ/1565م(3).

1- أحمد توفيق المدني ، مرجع سابق ، ص 238 .

2- حسن الوزان ، مصدر سابق ، ص 14 .

3- ابن مريم ، البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان ، ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر، 1986، ص-ص 144- 146.

ندرومة في العهد التركي :

و على أية حال فإن إحتلال الإسبان للمراكز و المدن الساحلية الإستراتيجية كهنين و وهران و المرسى الكبير و مستغانم و الجزائر و بجاية و غيرها، وضعف الأمراء الزيانيين مكنهم من التدخل في شؤون تلمسان و السيطرة على مقاليد الأمور السياسية و المالية فيها إذ أصبحت تابعة لهم يولون عليها من أرادوا مقابل أموال وجزية و يخلعون منها من يرون فيه عصيانا لهم و خاصة في عهد محمد الخامس بن محمد الثابت و من أتى بعده فقد أصبحوا للإسبان منحازون إلى صفهم يحاربون معهم الأتراك العثمانيين الذين قدموا إلى الجزائر لنجدتها ضد الإسبان بطلب من أهلها فيحاربونهم إلى جانبهم مثلما فعلوا مع عروج الذي أستدعاه أهالي تلمسان فوقف ضده بنو زيان و الإسبان فحاصروه و باشروه بالقتال و هزموه و قتل سنة 924هـ/1518م(1).

و كان عروج و أخوه خير الدين قد قدما إلى الجزائر بدعوة من سكانها لإعانتهم على مواجهة الإسبان الذين أستولوا على طول الساحل الجزائري، فبلادهم كانت تعيش فراغا سياسيا و فوضى قبلية و الولاية الزيانية في نزعها الأخير و الكل في البلاد راكب رأسه ليس فيها من يستطيع جمع الأمة حوله و مواجهة العدو مما أستدعى حضور الأخوان التركيان اللذان استطاعا في سنوات قليلة من تحرير بعض المراكز كجيجل و شرشال و الجزائر و كانت المناطق تدعوهم كلما إزداد تقدمهم حتى وصلوا إلى تلمسان و قتل عروج مثلما ذكرنا في مكان اختلفت فيه الروايات فبعضها يذكر أن ذلك كان بمقطع الوادي المالح بنواحي وهران و البعض الآخر يذكر جبل بني موسى بناحية بني يزناسن قرب وجدة(2).

1- عبد الحميد حاجيات ، خطر النصارى و إنهيار الدولة الزيانية –في- الجزائر في التاريخ ،العصر الإسلامي ، ج 3 ،ط1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر 1984، ص، ص 456 – 457.

2- نور الدين عبد القادر ، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر منذ أقدم عصورها إلى إنتهاء العهد التركي ، نشر كلية الآداب ، الجزائر 1965 ص-ص 42 – 50 .

و تصدوا للجيش المغربي عند مجرى نهر الشلف و ألحقوا بـــه هزيمـــة نكـــراء و أسترجعوا على إثرها مستغانم ثم تلمسان و تقدموا نحو قبة سيدي ابراهيـــم الـــتي شهدت مصرع عروج، فالتقى الجزائريون مرة أخرى بالجيش المغربي المتراجع الـــذي كانت قد وصلته هناك إمدادات عسكرية إضافية أرسلها الشريف السعدي تحت قيادة ابن ثان له هو الشريف عبد القادر، و إلتقى الجمعان مرة أخرى في هذا المكـــان ، فانهزم الجيش المغربي هزيمة للمرة الثانية و قتل الابن الثاني للسلطان المغربي و تراجع ما تبقى من فلوله ما وراء نهر الملوية فعاد الجزائريون إلى تلمسان ليلعنوا نهايـــة الدولـــة الزيانية و كان من نتيجة هذه الصدامات أن أرسل حكام الجزائـــر الأتـــراك باســـم السلطان سليمان القانوني وفدا للتفاوض مع السلطان السعدي في مراكـــش يرأســـه الشيخ الفقيه العالم أبي عبد الله محمد بن علي الخروبي و ذلك بغرض تعيين الحدود بين البلدين و التخفيف من القيود و المحن المضروبة على المنكوبين من بني وطاس المرينيـين حكام المغرب السابقين، و كذلك للإعتراف المتبادل بين الســـعديين و العثمـــانيين و لكن الوفد لم ينجح إلا في تحديد الحدود بين البلدين و ذلك من البحر إلى الصحراء و منذ ذلك الوقت انضوت تلمسان و ضواحيها تحت راية إيالـــة الجزائـــر التركيـــة و يرجح أن ندرومة و نواحيها التحقت بها تلمسان و لتكون تحت إشـــراف هـــذه الأخيرة و ربما كان ذلك بفضل الانتصارات التي حققها الأتراك و الأهـــالي علـــى السعديين و الأتراك معا(1).

1- عبد الرحمان بن محمد الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ط1 ، ج3 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائـــر 1994 ، ص 47.

و يبدو أن ندرومة و ضواحيها عانت من جو هذا الصراع القائم بين الجزائر و أشراف المغرب و أنها كانت محل نزاع بينهما مثلما حدث بين الزيانيين و المرينيين في النصف الأول من القرن 8هـ/14م فالأشراف كانوا يحاولون تجنيد أبناء المنطقة الواقعة غرب تلمسان إلى جانبهم و يعملون على إلحاقها بهم مستخدمين فيها وسائل مختلفة و سبل متباينة، معتمدين بعد سقوط الدولة الزيانية و خلال القرن 11هـ/17م على بعض رؤساء الزوايا كزاوية سيدي عبد الرحمن اليعقوبي، فشيخ هذه الزاوية لم يكن راضيا على الحكم التركي فأتجه إلى المغرب و أستخدمه الأشراف لتحقيق أطماعهم في المنطقة و تبادلوا الرسائل معه و مع أحفاده و غيرهم.

و عبد الرحمن اليعقوبي هذا ينسب لعائلة العاقل العربية التي تنتهي في نسبها لعلي بن أبي طالب، فقد درس في ندرومة ثم التحق بتلمسان و عايش الصراع التركي السعدي، و كان ذا شخصية مهابة و مطاعة و ذا تأثير في الوسط الإجماعي يصلح بين الأفراد و يحكم بين الجماعات، و يذكر ابن مريم أنه عقد الصلح بين أولاد طلحة و سكان ترارا و إن كان ابن مريم يعد من كراماته و كان قد التحق بواد دفو (بمغنية) و ذلك عندما احتل الأسبان تلمسان سنة 950هـ/1543. و شكل هناك رابطة على هيئة اتحاد يجمع شيوخ ندرومة و أنكاد أو أنجاد (بوجدة) و بني سنوس و ترارا و مدغارة (مطغرة) و ذلك سنة 955هـ/1549م و كتب ذلك الصلح محمد العقباني و صادقت عليه شخصيات هامة في تلمسان و شيوخ تلك المناطق و كان هذا الاتحاد يرمي إلى مواجهة الإسبان و محاربتهم(1).

1- يحي بوعزيز ، الموجز في تاريخ الجزائر ، ج2 ، الجزائر الحديثة ، ط1 ،ديوان المطبوعات الجامعية ، 1999 ، ص 266.

و يبدو أن هذه الرابطة تشكلت بعد أن تبين لهؤلاء الشيوخ عجز حكام بني زيان عن التصدي للمسيحيين الإسبان و مواجهتهم و تكالب الزيانيين عليهم طالبين منهم يد العون و المساعدة في صراعهم فما بينهم و تقاتلهم على العرش في الوقت الذي كان فيه الإسبان قد تمكنوا من إحتلال مراكز كثيرة في المغرب الأوسط فارضين عليها ذلا و هوانا و غرامات كبيرة و إعتداءات مستمرة.

و بالفعل فإنه في حدود 1004هـ/1595م قدمت ندرومة أحد أبنائها قائدا إسمه يوسف بن العادل.

إذا كان القرن 10هـ/16م قد شهد تنافسا شديدا و قويا بين الأتراك و السعديين على تلمسان و نواحيها و منها ندرومة و ترارا(1).

فإن القرن 11هـ/17م شهد تراجعا لذلك التنافس و خفت حدته بين الدولتين، و كانت المنطقة شبه مستقلة حتى أعاد السلطان المغربي العلوي الجديد مولاي محمد الشريف غزو المنطقة الحدودية بدافع من عرب وجدة و أراضي بني يزناسن و بني سنوس و ندرومة و مناطقها و قبائلها كمطغرة و ولهاسة و ذلك في حدود سنة 1061هـ/1650م فشن الغارات و أرهب الناس و سلب أموالهم و مواشيهم وقف له السكان و قاتلوه مع الحامية التركية فأوقعوه و هزموه فعاد إلى بلاده و شغله دايات الجزائر بمساعدتهم لغيلان في شمال المغرب و هو تأثر ضد السلطان مولاي محمد الذي كان يعمل لتعويضه بأحد أبناء إخوته، و لكن غيلان ينهزم أمامه و يقتل سنة 1048هـ/1673م.

و يبدو أن علويي المغرب رأوا في إثارة الأتراك للثورات و الفتن في بلادهم تدخلا خطيرا فيها، فهاجم مولاي إسماعيل للمرة الثانية الجزائر سنة 1089هـ/1679م و تخطى الحدود حتى و صل بالقرب من الشلف و لكنه تراجع و انتهى الصراع بينهما إلى التفاوض و اعتراف العلويين بوادي التافنة كحد فاصل بين الجزائر و المغرب.

1- يحي بوعزيز ، مرجع سابق ، ص263.

أما في القرن 12هـ/18م فقد خضعت ندرومة تماما للدولة الجزائرية التركية، و أصبحت تابعة لبايلك الغرب و باي وهران بعد إسترجاعها و مرساها الكبير من يد الإسبان، و قد وضع الأتراك حامية أستقرت في ندرومة للحفاظ على الأمن و الإستقرار بالمدينة و مراقبة المنطقةو الإشراف على السعديين و العلويين و متابعة تحركاتهم.

و قد شهدت ندرومة و نواحيها في هذه الفترة و خاصة بعد إسترجاع وهران أحداث داخلية سياسية و عسكرية، بدايتها مقتل أحد جند الحامية مما دفع بالداي حسن إلى قيادة حملة على ندرومة، إستقبله سكانها بلطف مبدين له الطاعة و مبدلين له الهدايا، فرضي بذلك و لكنه فرض على المدينة إتاوة سنوية من القطن مقدارها ثلاثون حملا سترتفع إلى ألف فيما بعد(1).

و يبدو أن الأشراف العلويين كانوا يتابعون الأحداث في المنطقة عن بعد، و يتحينون الفرص لإثارة الفتن و القلاقل في المدينة الحدودية ندرومة مع أنهم يعيشون في شبه عزلة و ضعف و قعود عن مواجهة الأتراك خلال هذه الفترات، لذلك نشبوا بين سكان المدينة الدسائس فانقسموا على أنفسهم قسمين : أحدهما يناصر العلويين في المغرب، و هو القسم الأضعف و الثاني يناصر الأتراك. و بسبب ذلك وقعت فتنة في المدينة و قام صراع بين سكانها تطلب تدخل داي الجزائر، فوجه حملة عسكرية خيمت بجوار المدينة، و دخلت مجموعة من الجند داخلها، فتحرش بها سكان المدينة المناصرون للعلويين، مما أدى إلى المواجهة و نتج عنها العديد من القتلى في شوارع المدينة، و هروب العديد من الأسر و العائلات إلى القبائل المجاورة، و عند عودة الداي إلى الجزائر ترك حامية قوية تتحكم في المدينة و المنطقة الممتدة عبر التافنة و كيس.

1- يحي بوعزيز ، مرجع سابق ، ص 264.

و رافق اعتلاء مولاي سليمان عرش العلويين في المغرب فوضى و فتن داخلية فيها أغتنمتها حامية وجدة المغربية لتهاجم المناطق الحدودية من جديد لمرات متعاقبة مما استدعى تدخل داي الجزائر بطلب من ندرومة فوجه حملة عسكرية حوالي سنة 1210هـ/1795م قامت بإحتلال مدينة وجدة، و كادت تؤدي بحرب جديدة بين الدولتين و لكن داي الجزائر أفهم السلطان العلوي برسالة منه أنه لاغرض من إحتلال المدينة إلا المصلحة العامة و حماية الأرواح و إعادة الأمن، و أنه سينسحب فورا فرضي السلطان العلوي و أوقف استعداداته العسكرية.

و كان لهذه الحركة من جانب حكومة الجزائر تجاه ندرومة و نواحيها و تلبيتها طلبها و حمايتها لها معنى كبيرا لدى سكانها، فخضعت المدينة كلها للأتراك و أطاعوهم و أصبحوا يساهمون في كل الحركات و الأحداث إلى جانبهم كمساهمتهم معهم في التصدي لفتنة درقاوة تحت قيادة عبد القادر بن الشريف ضد الأتراك، و مساهمتهم في حملة باي وهران على بني ورسوس لعب فيها الندروميون دورا هاما أرضوا بها باي وهران.

ندرومة في عهد الأمير عبد القادر :

و قد أخلصت ندرومة للأتراك و أستمر ذلـــك الإخـــلاص إلى الاحتـــلال الفرنسي، و تنظيم المقاومة ضده على يد الأمير عبد القادر، فقد رفضت الانضـــواء تحت لوائه لإزاحة بقايا الأتراك و الكراغلة المستقلين في بايلك الغرب بما فيهم تلمسان و ندرومة و المتعاونين فيما بعد مع العدو، مما اضطره للدخـــول معـــهم في صـــراع و حروب و خاصة مع كراغلة تلمسان و المنضوون تحت رايتهم، و بحثت ندرومـــة على الإنضمام للمغرب، و طلبت حمايته و لكن الأمير عبد القادر أســـتطاع إقنـــاع الندروميين بإلانضمام إليه و البقاء إلى جانبه لمقاومة الاستعمار الفرنسي، فقبلوا ذلـك منه و جعل عليهم ممثلا له فيها، و هو الحاج مصطفى الذي أعاد للمدينـــة الأمـــن و السلام بعد طرد السكان لعامل الأتراك عليها، ثم استقر الأمير عبد القادر نفسه فيها سنة 1252هـــ/1836م عند سيدي يعقوب و هزيمته للفرنسيين بها.

و قد احتل الفرنسيون تلمسان سنة 1258هـــ/1842م و تقدمـــوا إلى الغـــرب فاحتلوا ندرومة في نفس السنة محتجزين أبناء المنطقة منهم ستة من ندرومة كرهـــائن لديهم نقلوهم إلى تلمسان و قد سبق ذلك إنقتال الأمير عبد القادر منها إلى تـــرارا ثم إلتحق بالمغرب لإعادة تنظيم صفوفه(1).

1- فتحي دردار ، الأمير عبد القادر الجزائري بطل المقاومة الجزائرية (1832-1847) ، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر 2001، ص55.

III الحياة العامة للمنطقة

1- الحياة الاقتصادية :

بالرغم من أن منطقة ترارا (تراره) و ندرومة بالذات من المناطق الجبلية الوعرة و لكنها مع ذلك كانت تشرف في أسفلها على جيوب فلاحية في هيئة و ديان صغيرة، إضافة إلى سهول واسعة لزرع الحبوب و يتخذ منها مراعي للماشية، و كانت هذه الأراضي الزراعية تسمى عندهم العزب أو العزيب، و كانت أسافل ندرومة و منحدرات وادي (الثلاثة) تحتلها قبيلة بني منير، أما قبيلة بني مسهل فكانت تختص بوادي تافنة و القرى المتجمعة حول جبال فلاوسن، و كانت تتضمن عددا كبيرا من البساتين المتوفرة على المياه(1).

و كانت تلك السهول و البساتين و الجيوب الفلاحية على الوديان الصغيرة تكون لسكان ندرومة و ضواحيها تربة خصبة و أراضي زراعية يستغلونها في إنتاج الحبوب المختلفة و الخضر و الفواكه المتنوعة و هو ما يعبر عنه البكري في القرن 5هـ/11م أنه : "...بغربي لمدينة و شمالها بسايط طيبة و مزارع و واديها وادي ماسين كثير الفواكه و الثمار"(2).

1- Canal , Op-Cit , T, VII , 1887 , P 84 .

2- أبو عبيد البكري ، مصدر سابق ، ص 80 .

و لا شك أن هذه البساتين و تلك البسايط و الجيوب الفلاحية كانت تـــذر غلاة وفيرة على المنطقة جعلتها تحتل مكانة هامة في نظر الدول المجاورة، كما جعلتـها تحتل الصدارة كمركز حضاري إقليمي يتنافس عليه الحكام و تحاول حواضر المغـرب أن تلحقه بها و خاصة بعد سقوط الموحدين و هو ما يؤكده الإدريســـي في القـــرن 6هـــ/12م في حديثه عن مدينة ندرومة ذاكرا أن موضعها في سند ولها مزارع كثـــيرة و لها واد يجري في شرقيها عليه بساتين و جنات و سقي كثير.

و فضلا عما ذكره البكري و الإدريسي عن زراعـــة ندرومـــة و منتجاتهـــا الفلاحية، حسن الوزان يشير إلى أن باديتها منتجة إلى أقصى حد، فحـــول المدينـــة بساتين كثيرة و أراضى مغروسة بأشجار مثمرة أهمها شجر الخروب الذي يســـتهلك في المدينة و يصدر إلى المدن و المناطق المجاورة لكثرته و حلاوته.

و كانت المنطقة تتوفر على المياه الجارية يستخدمها السكان في سقي أراضيـهم و بساتينهم، و كانت السهول تنتج كمية كبيرة من الحبوب كالقمح و الشعير.

كما كانت المنطقة تنتج كميات معتبرة من العسل الذي كان يعد مادة أساسية في التغذية لا شك أنهم كانوا يصدرون كميات منه للحواضر و المدن المجاورة، كمـــا كانوا يصدرون منتجات صناعية أخرى مثل الملابس الصوفية و المنتجات النســـيجية و خاصة القطنية منها لإشهار المنطقة بزراعته و المدينة بتصنيعه و إنتاجه، و يتـــاجرون فيه مع مدن المغرب الأوسط كتلمسان و الجزائر.

و كانت منطقة ندرومة تتوفر على عدد كبير من قطعان الماشية مـــن أغنـــام و ماعز و أبقار، و ساعدهم على ذلك توفر المرعى السهلي و الجبلي الـــذي يعـــد مصدرا أساسيا لتربية الحيوانات.

و من جهة أخرى فان وقوع المدينة في منطقة جبلية صخرية و قريبة من البحر، جعلها تتمتع بمناخ معتدل ممطر شتاء و معتدل حار صيفا، و أكسبها غطـــاء نباتيـــا معتبرا عبارة عن غابات كثيفة تمتد بامتداد منحدرات جبالها و مرتفعاتها حتى تلتقـــي عند السواحل في الغزوات و هنين، و قد أفادت المدينة من ذلك في التدفئة و مـــواد البناء من الخشب و الحجر.

2-الحياة الإجتماعية :

كانت ندرومة و نواحيها مترلا و مرتعا لمجموعة من قبائل البربر مـــن زناتـــة تجوب نواحيها منذ فترة سابقة عن الإسلام، و كانت قبيلة كومية أشهر هذه القبـائل، و يشير ابن خلدون إلى أن هذه القبيلة كانت تعرف قديما باسم صطفـــورة، و هـــم إخوة لماية و مصغرة و لكنهم ينسبون إلى جدهم فاتن، و دخلت لماية مـــن إخـــوة كومية في الصراع الخارجي بالمغرب مما أدى بها إلى الإنتشارفي أماكن مختلفة من أرض إفريقية و المغربين الأوسط و الأقصى، و أصابتها بسبب ذلـــك كثـــير مـــن المحـــن و المهالك(1).

أما كومية فهي كبيرة كثيرة العدد، ذات فروع و أفخاذ و بطون، و بطونها الكبرى : ندرومة و صغارة و بنويلول، و عنهم تتوزع قبائل أخرى كثيرة، فمن ندرومة تتـوزع نغوطة و حرسة و فردة و هفانة و فراتة، و من هذه الفروع تتوزع أفخـــاذ أخـــرى و هكذا...(2) و كانت كومية قد اعتنقت الإسلام منذ الفترة المبكرة مـــن فجـــر الدعوة الإسلامية بالمغرب(3).

1- عبد الرحمان بن خلدون ، مصدر سابق ، مج6 ، ص-ص 247 -254 .

2- نفسه ، ص 257 .

3- عبد الله علي علام ، مرجع سابق ، ص 86 .

و لم يكن من السهل التعرف على الحدود الحقيقية التي كانت تحتلها كل قبيلة و كل فرع من قبيلة في المنطقة الممتدة من وجدة إلى تلمسان و خاصة في المناطق الجبلية بهما، و يشير ابن خلدون إلى أن كومية كانت تنتجع سواحل البحر أو سيفه على حد تعبيره من المغرب الأوسط بجبل تاجرا، و أنه كان لهم كثرة موفورة و شوكة مرهوبة و خاصة بعد أن إعتلى إبنهم عبد المؤمن بن علي حكم الدولة الموحدية.

لقد قام الضباط الفرنسيون عند إحتكاكهم بسكان المنطقة، إضافة إلى مسؤولي الإدارة الاستعمارية بدراسة السكان دراسة أنثروبولوجية من حيث أصولهم و أحوالهم النفسية و خصائصهم الفسيولوجية من قامة ووجه و أنف و جبهة و شعر(1) و غير ذلك من وسائل التمييز العنصري إضافة إلى إعتمادهم على أسماء الأشخاص و الأماكن و القبائل، و هذا المنهج الدراسي المركب خضع لخلفيات تتوخى أهدافا تأسيسية إستعمارية أدت إلى تنميط سكان ندرومة و ترارا، كما هو الحال في بقية مناطق البلاد، تنميطا هجينا في أصلهم و ديانتهم و تقاليدهم و صفاتهم، فهم وفقا لذلك يهودا و مسيحيين و بربرا و عربا، ووصموهم بصفات و أحوال نفسية أقل ما يقال عنها في أكثرها غير موضوعية و هو منهج إتبعه كل الدراسين الفرنسيين ضباطا و سياسيين و باحثين و ذلك في كل ما يتعلق بالجزائر منذ إحتلالهم لها، و الهدف الأساسي لهذا المنهج هو تكريس الإختلاف و تعميق الهوة بين أبناء الأمة الواحدة داخل سياسة(فرق تسد) ليخلو لهم طريق السيطرة و إستعباد البلاد و العباد و إبقاء الأمة و سيطرة الفكر الاستدماري.

1- MERAD, Boudia, A. La formation sociale Algerienne précoloniale, OPU, Alger, 1981

لقد كانت منطقة ترارا مرتبطة سياسيا بندرومة و ظلت كذلك حتى إنفصلت عنها في ثورة 1261 هـ/1845 م ضد الغزو الفرنسي للمنطقة، و كانت ترارا تتضمن مجموعة عناصر سكانية متجمعة في قبائل أهمها كومية التي يشكلها إتحاد ترارا الذي نشأ بسبب الخلافات المحلية في جو الصراع بين الأتراك و السعديين، و كان ذلك الإتحاد يتكون من كومية و بني منير و بني مسهل و بني عابد الذي ينتسب إليهم عبد المؤمن بن علي و بني خلاد في ضواحي ندرومة و بني ورسوس و ولهاصة الغرابة.

الفصل الثاني

الجامع الكبير بندرومة: نشأته وعمارته

I-نشأة الجامع الكبير بندرومة:

1 -تأسيس الجامع الكبير بندرومة.

2 -التجديدات التي أدخلت على الجامع.

II-الدراسة الفنية لجامع ندرومة

1-الدراسة الوصفية

1-1: الوصف المعماري للجامع

2-1:الوصف المعماري للمئذنة

2-الدراسة التحليلية

1 -2:الدراسة المعمارية

2 -2: الدراسة الزخرفية

إن المسجد بالكسر اسم لمكان السجود،والمسجد بالفتح جبهة الرجل حيث يصيبه السجود، والمسجد بكسر الميم الخمرة وهي الحصير الصغير، ويفسر الزركشي السبب في اختيار كلمة مسجد لمكان الصلاة فيقول:" لما كان السجود أشرف أفعال الصلاة يقرب العبد من ربه اشتق اسم المكان منه فقيل مسجد و لم يقال مركع"(1)

فالمساجد يعمرها الزاهدون والمتصوفون والذاكرون الله كثيرا والعارفين بالله ويعمرها حلقات الدرس من فقه وحديث ومنطق ويعمرها العلماء والفقهاء والأئمة والأدباء ويقوى بها الضعيف والغريب ويأنس إليها ابن السبيل والمسكين، ويرفع صوته فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والداعي إلى الخير.

وقد جاءت عبارة المسجد مستوحاة من البيئة المحيطة به، سواء من حيث الشكل المربع أو من حيث المواد التي استخدمت في بناءه، من اللبن والطين والحجارة والسعف. وقد ظلت الخصائص العمرانية الأساسية للمسجد على حالها من حيث مدلولاتها ومتطلبات المسجد كدار عبادة وإن تنوعت المضامين والأساليب ففي بادئ الأمر كان بناء المساجد في المدن يقتصر على مسجد جامع واحد في كل مدينة تحقيقا للمقصد الشرعي الخاص بوحدة الأمة، وباتساع رقعة الأقطار التي انتشر فيها الإسلام أصبح من الضروري إنشاء مساجد عديدة في مواقع متفرقة من المدينة الواحدة مع الاقتصار على مسجد فيها يؤدي فيه المسلمون صلاة الجمعة والعيدين وباقي صلواتهم في مساجد أحيائهم ومع اتساع رقاع المدن وتزايد عدد السكان أنشئ في المدينة الإسلامية الواحدة أكثر من مسجد جامع واحد، بينما تزايدت أعداد المساجد حتى بلغت في بعض المدن الإسلامية المئات وكثير من الجوامع.

1- www . khaima . com

وعلى هذا فقد استقر العرف على إطلاق كلمة مسجد على كل مكان يتعبد فيه المسلمون مهما كانت مساحته وإطلاق تعبير الجامع أو المسجد الجامع على المساجد الكبيرة التي تستوعب المصلين أيام الجمع وعليه فإن كل جامع هو مسجد ولكن ليس كل مسجد جامعا.

I- نشأة الجامع الكبير بندرومة:

كان الأمراء والحكام يبادرون عند اعتلائهم العرش أول وصولهم إليه والاستلاء على مدينة أو منطقة ببناء المساجد إرضاءا للناس وإظهارا للدين ورغبة لاستمالة الشعوب وإخضاعهم.

ولذا بادر يوسف بن تاشفين عل عهد المرابطين حين استولى على المنطقة إلى تشييد الجامع الكبير بندرومة، وما كان له أن يفعل ذلك لو لم يكن لهذه المدينة أهميتها الاقتصادية والاستراتيجية وهي الأهمية التي أملت على الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي بعده اتخاذه لها قاعدة انطلاق في امتداده نحو المغرب الأوسط والأدنى.

1-تأسيس الجامع الكبير بندرومة:

اختلفت الآراء حول تاريخ بنائه كما اختلفت عمن شيده، وقد اعتمدت كل تلك الآراء على دراسة كتابة لوحة من خشب الأزرق كانت جزء من منبر جامع ندرومة، وبالضبط الجزء الذي يشكل متكأ لظهر الإمام بجلسته في أعلى المنبر واللوحة على هيئة عقد نصغ دائري ارتفاعها 1 متر وعرضها 0.72 متر، وتتألف من اثنا عشر سطرا والأسطر الثالث والحادي والثاني عشر ممحاة تماما، ولم يبق من السطر الخامس والسابع إلا كلمة في الأول وكلمتين في الثاني، بينما نجد بعض الكلمات ناقصة من السطر التاسع والعاشر(1).

1- R. Bourouiba , L'art religieux musulman en Algerie , SNED , Alger 1973 P

وقد نقشت الكتابة بشكل بارز بالخط الكوفي الذي تنتمي حروفه القائمة والمدّات القائمة للحروف المستلقية بعناصر غير مكتملة كوريقات نباتية.وتمتاز هذه الكتابة برقة في الفن ودقة في التنفيذ، كما تمتاز بالتناسق والانسجام والتوازن بين الأسطر وما تتضمنه من كلمات وما تحتويه هذه الكلمات من أحرف، ويتشابه أسلوب رسم حروف منبر جامع ندرومة بمثليها في منبر جامع الجزائر الكبير والكتابات الكوفية بجامع تلمسان الكبير(1) .

وتتضمن الكتابة البسملة والتصلية والتسليم والشهادة وبداية الآية 19 من سورة آل عمران .

- السطر 1و2 والسطر 3 الممحي يتضمن الآية 85 من سورة آل عمران
- في السطر 4 إلى السطر 7 تتضمن عبارات اليمن وألقاب المنعم واسمه وكثير من ذلك محذوف
- الأسطر 8و9و10 عبارات تمثل الفراغ من البناء والمشرف عليه وتاريخ البناء، وهو ناقص
- التأريخ يرجح (باسي) التأريخ بحوالي 474هـ الموافق لـ 1081 م وهي الفترة التي استولى فيها يوسف بن تاشفين على الجزء الشرقي من المغرب الأوسط.
- يؤيد كثير من المؤرخين (باسي) فيما ذهب إليه من أن المؤسس هو يوسف بن تاشفين اعتمادا على الألقاب وبعض الحروف الباقية(2) .
- ومهما يكن فإن نسبة المسجد إلى العصر المرابطي شيء تؤكده الدراسة المعمارية المقارنة للمسجدين المرابطيين في الجزائر وتلمسان.

1- انظر اللوحة رقم (1)

2- رشيد بورويبة ، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية ، ترجمة إبراهيم شبوح ، ش.و.ن.ت 1979، ص 54

2-التجديدات التي أدخلت على الجامع:

تعرض جامع ندرومة كغيره من الجوامع في الحواضر الجزائرية إلى العديد من الإصلاحات والترميمات والتجديدات عبر الأزمنة التاريخية، بعضها مسجل كتابيا كالمئذنة المضافة في العهد الزياني عام 749هـ/1348-1349م.

والبعض الآخر منها غير مسجل كبعض الدعامات في البائدة المتطرفة الجنوبية الغربية وكذلك الجزء الذي يلي الصحن مباشرة من الناحية الشمالية بالإضافة إلى المحراب الذي تلقى هو بدوره تجديدا واضحا، ورغم ذلك بقي التخطيط المعماري للمسجد محافظا على جوهره المرابطي(1).

وهناك مساحة مربعة تلي المحراب مشكلة بثلاثة عقود وفتحات للمحراب، ويرجح أن هذه المساحة كانت تعلوها قبة في العصر المرابطي ثم أزيلت بعد ذلك(2).

II- الدراسة الفنية لجامع ندرومة:

ينبع الفن الإسلامي في جوهره من العقيدة الدينية التي لا تكتمل إلا بالإخلاص، ولا تأخذ طريقها إلى ضمير المؤمن ووعيه إلا بالتجرد والطهر، وطبيعي أن يكون المسجد هو مهد هذا الفن الجديد، وإذا كانت العبادات الإسلامية وأداء الشعائر والفرائض لا تحتاج أساسا إلى بناء ذي مواصفات خاصة، فمن المرجح أن المساجد الأولى في الإسلام كانت تتألف من مساحة فسيحة غير متساوية يحيط سياج من الحصير المجدول من سعف النخيل ويتصدرها محراب من المشكوك فيه أن يكون قد حدد بكوة في جدار البناء الأصلي (3) .

1- GOLVIN (L), essai sur l'architecture religieuse musulmane,T4 , P 173 , Paris 1979 .

2- عبد العزيز لعرج ، جامع ندرومة المرابطي – دراسة معمارية – في اشغال الملتقى الوطني الأول حول تاريخ ندرومة ، 1978

3- عكاشة ثروت ، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية ، دار المعارف ، القاهرة ، 1981 ، ص 99

وقد أصبح للمساجد الإسلامية نظام لا تخرج عنه مستمد أساسه من المسجد الأول الذي أقامه النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة، وبمعظم المساجد جزء أوسط يسمى صحنا، وهو سماوي في الغالب وتحيط به أروقة بها بوائك أكبر رواق القبلة وفيه المحراب وعلى يمنه المنبر ويحمل السقف عقود تقوم على أعمدة من الرخام أو الحجر أو على أكتاف من البناء وقد استعملت المساجد كمراكز للتعلم منذ العصر الإسلامي الأول(1).

1- الدراسة الوصفية :

1-1-الوصف المعماري للمسجد:

يشبه الجامع الكبير بندرومة إلى حد كبير المسجد الكبير بالجزائر، وذلك من حيث التصميم المعماري العام، وهو تصميم يتألف من مستطيل يمتد من الشرق إلى الغرب كالجامع الأموي بدمشق وجامع القرويين بفاس، بينما معظم المساجد الإسلامية في المشرق والمغرب على السواء على هيئة مربع أو مستطيل يمتد من الشمال إلى الجنوب وقد أدى هذا التصميم العام إلى أن يكون عرض المسجد أكثر من عمقه ومقاساته العامة 28.30م20xم.

يتألف المسجد من الداخل من صحن أوسط مكشوف، مقاساته 9م 6.80م تحيط به أربع أروقة أكبرها رواق القبلة أو بيت الصلاة وعلى الجانبين رواقين متماثلين

1- ابو صالح الألفي ، الفن الإسلامي أصوله ، فلسفته ، مدارسه ، دار المعارف بمصر (ب،ت) ،ص 123

1-1-1: رواق القبلة :

وهو مستطيل يمتد من الشمال إلى الغرب، عرضه أكثر من عمقه بمقاسات 28.30م 9.70م (1) ويتألف من ثلاث أساكيب وإحدى عشر بلاطة عمودية على جدار القبلة وهو جدار سمكه 1.70م يتوسط محراب غائر متعدد الأضلاع(خماسي) بارز من الخارج إلى اليمين منه فتحت حجرة مستطيلة للمنبر وإلى اليسار على البلاطة الثانية من المحراب غرفة أخرى استعملت كمكتبة واستراحة للإمام ويليها على البلاطة ما قبل الأخيرة باب يوصل إلى الخارج(2).

ويقدر عرض الأساكيب بـ:2.40م إلى 2.50م بينما عرض البلاطات يقدر بـ 2.45م، فيما عدا البلاطة المركزية التي يزيد عرضها عن بقية البلاطات، وأمام المحراب على البلاطة المركزية مساحة مشكلة بواسطة عقد أوسط وعقدين جانبيين على شكل مربع من المحتمل أنها كانت مغطاة بقبة اندثرت فيما بعد، ويشرف بيت الصلاة على الصحن بثلاثة عقود.

1-1-2:الرواقان الجانبيان :

على جانبي الصحن الشرقي والغربي رواقان متماثلان يشرف كل منهما على الصحن بعقدين ويتألفان من ثلاث بلاطات هي امتداد لبلاطات بيت الصلاة العمودية على جدار القبلة.

1-1-3: الرواق المقابل لرواق القبلة:

عرف هذا الأخير تجديدات في وقت غير معروف ويشرف على الصحن بعقدين من ثلاثة عقود على غرار ما يقابله.

1- انظر اللوحة رقم (2)

2- انظر المخطط رقم (1)

4-1-1: الحوامل:

يتضمن بيت الصلاة ثلاثة صنوف من الدعامات المربعة الشـــكل، في معظمـــها يتكون كل صنف من ثماني دعامات والثالثة من جهة الصحن ذات شكل غير منتظـــم بعضها متقاطع والبعض الآخر على شكل ( ) متوسط مشرف على الصحن مـــن جانبه، بينما هناك دعامات أخرى مستطيلة الشكل (1) وذلك في الجـــانب الشـــمالي الشرقي، ومجمل الدعامات في المسجد خمسة وثلاثون دعامة.

5-1-1: العقود:

ترتكز عقود المسجد على دعامات وأعمدة، وهي عبارة عن هيئة حذوية الفـــرس منكسرة في القمة.

6-1-1:المدخل:

للمسجد ثلاثة أبواب عادية تذكارية، أحدها إلى يسار المحراب مقابل البلاطة مـــا قبل الأخيرة والآخر في لبركن الشمالي الغربي والثالث بجانب المئذنة في الركن الشـــمالي الشرقي.

2-1- الوصف المعماري للمئذنة:

مئذنة جامع ندرومة ذات مسقط مربع ، جاء بنائها متأخرا عن بناء الجامع الـــذي شيده المرابطون ، و تجدر الإشارة هنا أن كل المساجد التي شيدها المرابطون في الجزائـــر كانت دون مآذن ، و لا ندري سبب عزوف المعماري المرابطي عن تشيد المآذن.

تحتل الركن الشمالي الغربي من المسجد وقد بنيت على عهد الحكم الزياني كمـــا تشير إلى ذلك اللوحة التأسيسية المثبتة على يمين باب الدخول إليها، ويشير التـــأريخ إلى عام 1348/749م (2)على أنها بنيت بأموال أهل ندرومة كما يتضح من النـــص الآتي المكتوب في اللوحة:

1- انظر المخطط رقم (2)

2- انظر اللوحة رقم (3)

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد

(...وها الصامع أهل ندرومة

بأموالهم وأنفسهم وكل احتسابا

لله وانبنت في خمسين يوم

بناها محمد بن عبد الحق بن عبد

الرحمان الشيعي في عام تسع وربعين

وسبع ماية

رحمه الله (1)

تتميز هذه المئذنة كبقية المآذن الزيانية بتأثرها واقتباسها من المآذن الموحدية وخاصة مئذنة الكتبية بمراكش(المغرب) من حيث تكوينها وزخارفه

يقدر الارتفاع الكلي للمئذنة 23.20م، وارتفاع البرج الأول السفلي 19.18م كما يقدر طول ضلع القاعدة 4.72م، بينما يصل ارتفاع الجوسق إلى 4.24م وقاعدته 2.04م ويرصع البرج السفلي من جهاته الأربعة هندسيا على هيئة شبكة من المعينات والعقود المفصصة والمنكسرة، وقد قسم كل وجه من أوجهها الأربعة من الناحية الزخرفية إلى جزأين(2).

1-2-1: **الجزء السفلي**:

هو مبني كليا من الآجور إرتفاعه 19،80م و يتم الإرتقاء إلى سطح الجزء عن طريق سلم يلتف حول نواة مركزية فارغة ، قوام هذا الجزء مساحة مربعة يزينها عقدان مفصصان ناتئان يتكون كل عقد منها من تسعة فصوص وينتهي كل واحد بمفتاح على هيئة (M).

1- صالح بن قربة ، العمارة الدينية في العصر المرابطين بالجزائر –في مجلة سيرتا- تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية ، عدد ممتاز ، جامعة قسنطينة 1980 ، ص57

2- انظر اللوحة رقم (4)

2-2-1:الجزء العلوي:

وهو على هيئة مستطيل ترصعه تشبيكة من المعينات الناتئة يقوم على بائلة من ثلاث عقود ثلاثية الفصوص، ترتكز على أعمدة حائطية صغيرة وينتهي هذا الجزء بإفريز أفقي مستطيل غفل من الزخارف ويتخلل البرج السفلي فتحات مستطيلة من المخارج وملوية متحرفة من الداخل تسمح بتدفق تيار الهواء بقوة، ووظيفة هذه الفتحات الإضاءة والتهوية(1).

3-2-1: الجوسق:

الجوسق هو الغرفة التي تعلو البرج الرئيسي و تسمى أحيانا غرفة المئذن لأنه كان المؤذنون عند الإرتقاء إلى أعلى البرج للآذان .

يبلغ إرتفاع الجوسق مئذنة ندرومة 4،24 م و عرضه 2،04 م وهو صغير الحجم، عُفل من الزخرفة ما عدا دخلة غائرة في كل وجه من أوجهه الأربعة، وهي فتحة مستطيلة تنتهي بعقد حدوي أملس عادي(2) .

2-الدراسة التحليلية:

إن من أهم صفات العمارة الجيدة التصميم الذي يشتمل على القيم الوظيفية والجمالية معا، ومهما كان المهندس المعماري مراعيا للقواعد الفنية، ومهما كان التنفيذ دقيقا فإن جمال العمارة وكمالها يعتمد في كثير من جوانبه على شخصية الفنان والمثالية التي يريد أن يحققها، وللعمارة الإسلامية شخصيتها وطابعها المميز الذي تتبينه العين مباشرة سواء أكان ذلك نتيجة للتصميم الإجمالي أو العناصر المعمارية المميزة أو الزخارف المستعملة(3).

1- انظر اللوحة رقم (5)

2- انظر اللوحة رقم (6)

3- أبو صالح الألفي ، مرجع سابق ، ص 12

1-2: الدراسة المعمارية:

إن للدين الإسلامي الحنيف والحضارة الإسلامية الزاهيـــة بالإضافـــة إلى البيئـــة الجغرافية الأثر الواضح على العمائر الإسلامية وطرزها المختلفة خاصة الدينية منه، كمـــا أن طبيعة طرز العمارة العربية في كل من مصر والشام وبلاد المغرب ارتبطت في نشـــأتها بعوامل البيئة المحلية، فضلا عن تطورها خلال العصر الأندلسي في تونس والجزائروالمغرب مما أكسبها شخصيتها وطابعها المميز.

1-1-2: المخطط:

يمتاز الجامع الكبير بندرومة بتشابهه مع المسجد الكبير المرابطي بالجزائر العاصمـــة وذلك من حيث التخطيط العام لكليهم، والذي يتكون من مستطيل يمتد من الشـــرق إلى الغرب بحيث يشكل عرضه أكثر من عمقه وهي نفس الميزة التي تتميز بها بيت الصلاة في كلا المسجدين (1).

إن هذا التخطيط العام يختلف عن معظم المساجد الإسلامية في المشرق والمغرب علـــى السواء، إذا استثنينا أمثلة قليلة كالجامع الأموي بدمشق وجامع القرويين في فاس، غير أن هذين الأخيرين بلاطهما موازية لجدار القبلة وليســـت عموديـــة كجـــامع ندرومـــة والجزائر(2)وهما من هذه الزاوية متأثران بنظام تخطيط البلاطات في المساجد الإسلامية في المشرق والمساجد المغربية الأندلسية.

وربما كان التأثير الأندلسي أقوى على العمارة المرابطية من أي تأثير آخر، فقـــد فتـــح المرابطون أبواب المغرب لتتوغل منه التأثيرات المعمارية الأندلسية كما هـــي في جـــامع الجزائر وتلمسان وجزئيا في جامع ندرومة، والمعروف أن أبواب المغرب كانت موصـــدة قبلهم و لم يكن لها إلا منافذ قليلة فتحتها الخلافة الأموية بقرطبة في سبتة وفاس وقد أدى الارتباط السياسي بين المغرب والأندلس الذي أوجده المرابطـــون إلى وحـــدة غنيـــة أصبحت معها الأندلس أستاذا للمغرب في المجال الفني.

1- GOLVIN (L) op. cit . P 60 , 62

2- Bourouiba. R, l'art religieux musulman en Algerie , P 75

فانتشرت المظاهر الفنية والمعمارية الأندلسية في بلاد المغرب وظهرت تقاليده في العمارة المرابطية في الجزائر، وهي المظاهر والتقاليد التي ستستمر إلى وقت متـــأخر في المغـــرب العربي.

2-1-2: العناصر المعمارية:

المساجد عامة على الرغم من تاريخها الطويل وتعدد أشكالها لم تخرج في تكوينها العام عن هيكل مسجد الرسول (ص) في المدينة، فالمعماريون المسلمون وإن تفننـــوا في ابتداع أشكال المساجد وصحونها ومحاريبها وأروقتها لم يضيفوا عنصرا رئيسيا واحد إلى عمارة المساجد الحديثة.

-المدخل:

اتبع في الشام نظام المداخل الثلاثية المحورية وانتقل هذا النظام إلى مصر وشمـــال افريقيا والأندلس، وتصنع الأبواب التي توضع في المدخل من الخشب المزخرف حشـواته بالزخارف الدقيقة أو من الخشب المصفح بالنحاس المزخرف بأشكال هندسية أو نباتية. ولمسجد ندرومة ثلاث مداخل متباينة في مقاساتها حيث شكل اثنان منهم على شـــكل عقود مدببة في اطارها وقد زينت الأبواب الخشبية بصفائح من النحاس لمسك أجـــزاء الخشب ورغم ذلك لم يحفظ التاريخ طابعها الفني الأول بعد ما أطالتـــها يـــد التغيـــير والحداثة في إطار الحملات الترميمية.

-المحراب:

وردت كلمة المحراب في القرآن الكريم أربع مرات ووردت كلمة المحاريب مرة واحدة وكلمة المحراب كلمة عربية قديمة وردت في معاجم اللغة في مادة حرب ومن معانيها صدر المجلس ومنه محراب المسجد والمحراب أيضا الغرفة ومنه قوله تعالى: "فخرج على قومه من المحراب..."(1) قيل من المسجد وكان ورودها في كتاب الله بمدلولاتها القديمة حيث تعني كلمة المحراب الغرفة العالية أو المستقلة أو أفضل مكان في القصر أو البيت وقد تعارف العلماء على اطلاق كلمة المحراب على جدار القبلة، وقد استعمل رسول الله (ص) الحربة والعترة في تحديد اتجاه القبلة أثناء الصلاة في الفضاء و لم تعرف الكلمة بمعناها المعروف اليوم إلا بعد أن انتشر الإسلام مشرقا ومغربا وباتت هناك حاجة ملحة لتحديد اتجاه القبلة التي أمر الله تعالى عباده بالاتجاه إليها في صلواتهم.

ويروى في هذا الشأن عندما أعاد والي المدينة عمر بن عبد العزيز بناء المسجد النبوي الشريف دعا علماء المدينة ورجالاتها لتحديد مكان القبلة في البنيان الجديد وحين بنى عمرو بن العاص مسجده الذي سماه مسجد الفتح في الفسطاط شارك ثمانون رجلا من صحابة النبي عليه الصلاة والسلام في تحديد مكان القبلة.

وبعد أن أصبح المحراب جزءا أساسيا في عمارة المسجد استقر معنى كلمة "محراب" على أنها عمران المساجد واستقر معنى كلمة "محراب" على أنها تجويف في جدار المسجد باتجاه الكعبة المشرفة، وتلاشى استعمال الكلمة في غير هذا المعنى عدا ما ورد في القرآن الكريم ولا يعرف بالتحديد من كان أول من أوجد المحراب في المسجد فهناك أقوال تنسب ذلك إلى الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وأخرى تنسب ذلك إلى الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان(رضي الله عنه)وهناك أقوال تنسبه إلى آخرين، وقد يفسر تعدد الروايات هذا بأن كلمة المحراب استخدمت بمعاني عديدة مما لا يمكن معه التأكد ما إذا كان المقصود هو المحراب كما هو معروف اليوم أو أن المقصود شيء آخر.

1- الآية (١١) من سورة مريم

على أن تحديد القبلة كان أول وأهم ما وجه بناة المساجد إليه في مختلف الأقطار التي دخلت في الإسلام وكان المعماريون يكتفون بوضع علامة على الجدار المتجه نحو القبلة أو بدهان جزء من الجدار بلون مميز أو بوضع بلاطة بدلا من ذلك، وبذلك يقف الإمام إزاء الجدار ويؤدي الصلاة(1).

أما تجويف مكان المحراب في الجدار المتجه نحو القبلة فأغلب الظن أن أول من نفذه هو والي المدينة المنورة عمر بن عبد العزيز عندما أعاد بناء المسجد النبوي الشريف.

ويتصدر جدار القبلة بجامع ندرومة الكبير مضلعا خماسيا يُرجح أنه محراب غير أصلي ولا يمكن دراسته على أساس أنه نموذج للمحاريب المرابطية(2).

-العقود:

اهتم العرب في العصر الإسلامي بعمارة المساجد والجوامع وكانت تبنى على شكل .

صحن مكشوف وحوله إيوانات مكشوفة أهمها إيوان القبلة أو بيت الصلاة وكان السقف في البداية يصنع من الجريد.

وسعف النخيل ويُحمل على عمد فوقها الأعتاب التي تحمل السقف، ثم تطورت إلى العقود الحجرية التي يستعاض بها عن الأعتاب الخشبية العادية، وكان لهذه العقود دور هام في تحديد طراز العمارة الإسلامية في الأمصار المختلفة.

وللعقود أشكال متنوعة فمنها نصف الدائرة ومنها الدائري المرتد الذي يشابه حدوة الفرس ومنها المرتد المدبب ومنها المخموس والمخموس المرتفع وهو ينتج عن تقاطع دائرتين أما المعقد المخموس ذو الثلاثة مراكز فيظهر من تسميته أن له ثلاثة مراكز

1- منى درويش: العمارة العثمانية تتكيف مع المناخ-www.islamonline.net

2-Bourouiba. R, l art religieux musulman, op.cit , p 79

ونلاحظ أن أقوى هذه العقود هو العقد المدبب والمسنن لأن ثقل الأوزان المحمولة عليه ينحدر إلى الأرجل ثم إلى كتف البناء كما يلاحظ أن هذه العقود هي الأساس في تطوير السقوف المقببة والقباب.

وقد تطور هذا الفن في البلاد الإسلامية من طرز مختلفة للعقود ومنحنياتها وزخارفها طبقا لطبيعة البلد التي عمل بها واستعمل فنانوها وبناؤوها مواد البناء المتوفرة فيها ومن ثم امتازت العمارة العربية الإسلامية بتنوع أشكال العقود.

وإن اعتماد المعماري المرابطي في إقامة العقود والأسقف على الدعامات المبنية وليس على الأعمدة المنحوتة ولا يرجع إلى ضخامة المساجد التي شيدها المرابطون كما يرى مورينو(1).

كما أن جميع عقود الجامع الكبير بندرومة هي على هيئة حدوة الفرس من النوع المنكسر قليلا ويعتبر العقد الحدوي بأشكاله المتنوعة علما على العمارة المغربية الأندلسية، وقد ظل المعماري المغربي وفيا لهذا النوع من العقود وفضله على غيره منذ أن استعمل لأول مرة في جامع القيروان وجامع الزيتونة وقرطبة ومساجد سوسة والجامع الكبير، ويرجع أول ظهور للعقد الحدوي إلى الجامع الأموي بدمشق في الفترة الإسلامية ولكنه ظهر قبل ذلك كما يتضح من أمثلة له مؤرخة عثر عليها من معمادنية مار يعقوب من نصيبين من العصر الساساني والبيزنطي بشمال الجزيرة العربية.

-الأعمدة:

تعتبر الأعمدة من أهم العناصر الإنشائية بالمباني والمساجد وقد كانت البدايات الأولى لبناء المساجد من جذوع النخل لتحمل السقف المصنوع من جريد النخل ولما انتقلت صناعة البناء من الطين إلى الأحجار عُملت الأعمدة بقاعدة وساق وتاج أعلاها فالقاعدة هي التي يرتكز عليها العمود كأساس على الأرض والساق أو البدن الذي يعتمد عليه العمود والتاج هو رأس العمود .

1- جوميث مورينو: الفن الإسلامي في اسبانيا، ترجمة عبد العزيز سالم،الهيئة المصرية للترجمة والتأليف، القاهرة (ب ت)،ص388

وهو الجزء الزخرفي العلوي الذي كانت فائدته من الناحية الإنشائية كمخـــذة أو قاعدة لتلقي الأحمال ونقلها إلى جسم العمود وكان الأقدمـــون يزخرفونـــه بالنباتـــات والأزهار ولذلك أشكال هذه النباتات قد انتقلت إلى صناعة الأحجار مع تطور البنـــاء فظهرت الأعمدة النخيلية وأعمدة نبات البردي وأعمدة نبات اللوتس.

وهناك مساجد قبل المرابطين أضخم من مساجدهم كالقيروان وقرطبة حيث أن العمـلرة الزيرية و الحمادية تعتمد على أعمدة، ولأنه يرجح إلى صعوبة الحصول على الأعمـــدة الرخامية التي تتطلب تأليف وجهدا ووقتا لنحتها بخلاف الدعامات المبنية التي يعتمد فيها على المواد الملبسة المتوفرة بعين المكان كما أن طابع التيجان في الجامع الكبير بندرومـــة تغلب عليها البساطة والجانب الوظيفي على الجانب الفني الجمالي فلم يراعـــي الفنـــان المرابطي عنصر الجمال بقدر ما اهتم بدوره الوظيفي.

-الصحن:

صحن المسجد هو المساحة المكشوفة منه والتي تتصل بحرم المسجد وأروقتـــه وجدرانـــه الخارجية وهو في أساسه اقتداء بعمارة مسجد الرسول (ص) حيث كانت فيه مســـاحة مكشوفة بين مظلتين مغطاتين إحداهما في الجهة الجنوبية والأخرى في الجهة الشمالية.

وفي كثير من المساجد يضم الصحن مصادر للمياه يتوضأ منها الناس وهي في الأغلـــب على شكل أحواض يندفع إليها الماء الجاري وتشكل لمســـته جماليـــة علـــى صحـــن المسجد(1).

كذلك يستفاد من الصحن في استيعاب المصلين إذا زاد عن طاقة حـــرم المســـجد وفي المساجد الكبيرة أقيمت في الصحون قباب صغيرة ذات أبواب مقفلة.

ولعل من العناصر الهامة في جامع ندرومة الكبير صحنه وهو يشبه ممثله في الجامع الكبـــير بالجزائر وللصحن أهمية كبيرة في العمارة الإسلامية بصفة عامة وفي عمارة المساجد بصفة خاصة وهو الجزء غير المسقوف بداخل المسجد ويعتبر امتدادا لبيت الصلاة تؤدى فيـــه الصلاة أيام الجمع حين يزدحم المسجد بالمصلين

1- أنظر اللوحة رقم (7)

وكانت صحون المساجد تغرس بالأشجار المثمرة أو غير المثمرة ليستظل الناس بهما كما كان يرخص لاستعماله للتجارة أو السّمر والجلوس والنوم.

وفي معظم الأحوال نجد الصحون محاطة بأروقة مغطاة يستظل بها المصلون من الحر والمطر

-المئذنة:

المئذنة هي المنارة التي يعلوها المؤذن ينادي إلى الصلاة في مواقيتها المعروفة وكان أول من رفع الآذان هو بلال بن رباح رضي الله عنه إذ مل يكن هناك مكان معين في المسجد لرفع الآذان فكان بلال يرتقي أسطوانة مرتفعة في دار عبد الله بن عمر المواجهة للمسجد النبوي الشريف ويجمع مؤرخو المسلمين على أن المساجد التي بنيت في الجزيرة العربية وسواء من الأمصار التي دخلت في الإسلام كانت بلا مآذن وأن أول من بنى مئذنة في الإسلام هو معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وذلك في المسجد الجامع الكبير بدمشق ومع مرور الزمن باتت المئذنة قطاعا قائما بذاته من فنون العمارة الإسلامية فقد وجهت لها عناية كبيرة في التصميم والتنفيذ وتفاوتت ارتفاعاتها إلى عدة عشرات من الأمتار وزخرف بناءها وزين بالنقوش الإسلامية البديعة وأعطيت أشكالا تسمى ما بين مدورة ومضلعة ومربعة وقاعدتها تتناسب طردا مع ارتفاعها وبداخلها سلم حلزوني يصعد إلى شرفتها حيث يقف المؤذن وينادي للصلوات وفي بعض المساجد لا سيما الكبيرة منها بنيت أكثر من مئذنة ووصل عددها في بعض المساجد إلى عشرة كما هو الشأن في المسجد النبوي وأطلق عليها المئذنة أيضا اسم المنارة وقد جاءت التسمية من القناديل التي كانت تضاء فيها ليلا وبمرور الزمن بات إنشاء المآذن جزءا لا يتجزأ من إنشاء المساجد وتنوعت أشكال المآذن وهندستها بتنوع العصور التي مرت على ديار المسلمين ولعل أكثر العناصر المعمارية أهمية في المساجد المئذنة بما حوت عليه من زخارف وما تتضمنه من نقوش وزينة بالإضافة إلى أنها سجل رائع لأطوار الفن الزخرفي الإسلامي في بلاد المغرب.

وقد بنيت مئذنة جامع ندرومة وفقا لطراز المآذن المغربية المربع الشكل الذي ساد المغرب والأندلس(1).

تمثل مئذنة جامع ندرومة نموذجا مختلفا عن كل المآذن الموجودة في منطقة تلمسان بحيث نجد الإيطار الذي يعلو حشوة المعينات خاليا من تلك العقود أو النجميات التي نجدها في المآذن الموجودة في تلمسان (2) و هذا ما يجعلها أقل أناقة .

كما تخلو هذه المئذنة من الشرفات سواءا العادية أو شرفات الزاوية .

إعتمد الموحدون نظام النوافد في مآذنهم ، و ستعمل هذا النظام المرينيون عند بناء منارة المنصورة . أما الزيانيون عن فكرة النوافد الكبرى إلى الفتحات أو ما يسمى بالمزاغل ، و هو الذي صارت عليه مئذنة ندرومة فنجد فتحتان في الواجهة الجنوبية .

تمثل مئذنة ندرومة أكبر عدد من المعينات من بين المآذن في منطقة تلمسان ، إذ أن عدد معيناتها 105 معينا فنجد 10 صفوف مكونة من 6 معينات لكل صف و عددها 60 و 9 صفوف من 5 معينات و عددها 45 .

2-2: الدراسة الزخرفية:

إن وظيفة الفن هي صنع الجمال والزخرفة واحدة ممن الوسائل المهمة التي تصنعه وهذا ما يوضح السر في تبوئها مكان الصدارة بين الفنون الإسلامية الأخرى، فهي العمل الخالص الذي يقصد به إلا صنع الجمال وهنا يلتقي شكل العمل الفني بمضمونه ليكون وحدة متماسكة لصنع الجمال ظاهرا وباطنا.

1- عبد العزيز لعرج، مرجع سابق،ص13

2- Bourouiba R. Apport de l'Algerie a l'architecture relugieuse Arabo-Islamique O.P.U , Alger , 1980 , P 279.

وقد عرف المسلمون بهذا الفن من بين الفنون جميعها حتى قيل أن الفن الإسلامي فن زخرفي، ذلك أنه لا يكاد يخلو أثر إسلامي من زخرفة أو نقش مهما كان شأنه بدءا من الخاتم الذي تحلى به اليد وانتهاءا بالبناء الضخم الواسع الذي يجمع الآلاف من الناس وإنما اتجه الفنان المسلم إلى هذا الفن لأنه وجد فيه بغيته من حيث البعد عن دائرة الخطر في المنهج الإسلامي، فهو بعيد عن التشخيص بطبيعته، واستطاع الفنان المسلم بخياله الخصب أن يحقق الأمر الآخر وهو البعد عن محاكاة الطبيعة وبهذا كان هذا الفن ملائما للمواصفات التي يحدد المنهج الإسلامي(1).

وتعد العناصر النباتية وكذا العناصر الهندسية والكتابية مقومات أساسية في بناء هذا الفن تتعاون مع بعضها تارة وتنفرد كل منها على حدة تارة أخرى وعلى هذا فهناك ثلاث أنواع من الزخارف.

2-2-1: الزخارف النباتية:

تقو م الزخرفة النباتية أو ما يعرف بفن التوريق على زخارف مشكلة من أوراق النبات المختلفة والزهور المنوعة وقد أبرزت بأساليب متعددة من إفراد ومزاوجة وتقابل وتعانق وفي كثير من الأحيان تكون الوحدة في هذه الزخرفة مؤلفة من مجموعة من العناصر النباتية متداخلة ومتشابكة ومتناظرة تتكرر بصورة منتظمة .

وقد تأمل الفنان المرابطي ونظر في الطبيعة... فتعلم واعتبر، ولكنه بأعمال خياله استطاع أن يبتعد بفنه عن تقليدها، فجاءت هذه التوريقات عملا هندسيا مؤسلبا(2)أميت فيه العنصر الحي وساد فيه مبدأ التجريد، وقد انتشر استعمال هذه الزخارف في أركان الجامع في مجالات مختلفة في تزيين الجدران والأقواس، وقلما نجد في الجامع الكبير بندرومة عنصرا نباتيا منفردا دون أن يحيط به شكل هندسي.

1- صالح أحمد الشامي، الفن الإسلامي،التزام وابتداع،ط1، دار القلم دمشق،1990،ص170

2- أنظر اللوحة رقم(8)

وحتى وإن وجد فإن الفنان لجأ إليه لملأ الأماكن الشاغرة، ومن الأمثلة التي نجد من هذا النوع الوريدات والأزهار وأنصاف المراوح والأفرع النباتية(1).

2-2-2: الزخارف الهندسية:

برع المسلمون في استعمال الخطوط الهندسية وصياغتها في أشكال فنية رائعة، فظهرت المظلعات والأشكال النجمية، ويتضح ذلك جليا في مئذنة الجامع(2).

وقد زينت هذه الزخرفة الجامع ودخلت في صناعة الأبواب وزخرفة السقوف(3) ولئن كانت هذه الزخارف دليلا على موهبة فنية عظيمة فهي أيضا دليل على علم متقدم بالهندسة العملية.

والزخرفية الهندسية ذات أهمية خاصة في الفن الإسلامي ولعل أهميتها تكمن في مطابقتها للمواصفات التي يقبلها المنهج الإسلامي وهذا ما يفسر لنا الأثر الكبير الذي تفرضه على كل فن إسلامي إذ أصبح الأسلوب الهندسي واحدا من الأساليب التي طبعت الزخرفة النباتية نفسها بأسلوبها، فكثيرا ما جاءت هذه الزخرفة بإخراج هندسي عجيب بل إن الكتابة نفسها وهي الفن الإسلامي الآخر كثيرا ما تفنن في إخراجها الفنان المسلم فجاءت في قوالب هندسية متنوعة الأشكال، وقد استطاع المسلمون استخراج أشكال هندسية متنوعة من الدائرة منها المسدس والمثمن والمعشر، وبالتالي المثلث والمربع والمخمس، ومن تداخل هذه الأشكال مع بعضها وملء بعض المساحات وترك بعضها فارغا نحصل على ما لا حصر له من تلك الزخارف البديعة التي تستوقف العين لتتنقل بها رويدا رويدا من الجزء إلى الكل، وكل جزئي إلى أكبر.

1- علي حملاوي: العناصر الزخرفية بمدينة سدراتة(ورجلان)-في- الملتقى الثاني للبحث الأثري والدراسات التاريخية، أدرار من5/29 إلى 1994/6/2، ص32

2- انظر اللوحة رقم (09)

3- أنظر اللوحة رقم (09)

3-2-2: الزخارف الكتابية:

لا يكاد يخلو أثر من الآثار الإسلامية من زخرفة أو نقش تزييني فقد كانت من لوازم العمل الفني الإسلامي، لان الفنانين المسلمين كانوا يكرهون الفراغ ويرغبون في تغطية السطوح والمساحات بالزخارف وقد اقتبس المسلمون عناصر زخرفتهم من الكتابة العربية أو من الخطوط الهندسية أو من العناصر النباتية.

أما الكتابة فلم يكن المسلمون أول من زخرف بها على المباني والتحف الفنية، ولكن ليس ثمة من فن استخدم الخط في الزخرفة بقدر ما استخدمه الفن الإسلامي بسبب اهتمام الناس به من جهة وقابليته للتطور الزخرفي من جهة أخرى، ولعل البدء في زخرفة الخط بدأت في مصر في نهاية القرن الثاني الهجري ولكنها ازدادت شيوعا منذ القرن الرابع وبلغت ذروة الروعة في القرنين الخامس والسادس واعتمدت الزخرفة خاصة على الخط الكوفي بسبب خطوطه المستقيمة، فكان لزخرفته أشكال منها: المورق والمشجر وهناك المظفر الذي يربط الفنان ما بين علمائه لتأليف إطار أو شكل هندسي معقد والكوفي المربع وهو هندسي الشكل قائم الزوايا(1) .

وقد خص الإسلام فن الخط برعاية خاصة لصلته الوثيقة بالعقيدة كما حظي الخطاطون المسلمون بعناية وتشجيع كبيرين لنفس السبب، ولأن الكتابة العربية هي الخط الذي دُوِّن به القرآن الكريم فقد كانت تحظى بإجلال وقدسية في كل بلاد الإسلام وفي كل العصور(2).

1- أنور الرفاعي، تاريخ الفن عند العرب و المسلمين،ط2، دار الفكر1977،ص136

2- عبد العزيز لعرج ، الزليج في العمارة الإسلامية بالجزائر في العصر التركي،ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر1990،ص247.

إن ما يؤسف له هو اندثار جل الزخارف الكتابية بالجامع، و لم يحفظ لنا التـــاريخ إلا لوحتين تأسيسيتين إحداهما للجامع والثانية للمئذنة(1) .

وقد ورد في اللوحة التأسيسية للجامع على الخط المغربي الأندلسي ما يلي:

ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين

هذا مما أنعم له (به) الأمير السيد يوسف بن تاشفين أدام الله توفيقه.

كان الفراغ منه على يد الفقيه القاضي ابو محمد عبد الله بن سعيد:

يوم الخميس السابع عشر من شهر رجب عام .47هـــ

1- أنظر اللوحة رقم (10).

الفصل الثالث : زاوية سيدي محمد بن عمر : تاريخها و عمارتها

I _ تاريخ زاوية سيدي محمد بن عمر

1 _ نشأتـــهـــا

1-1 موقعها الجغرافي

1-2 تأسيس الزاوية

2 _ التجديدات التي عرفتها الزاوية

3 _ الحياة الثقافية التي عرفتها الزاوية

II _ الدراسة الفنية لزاوية سيدي محمد بن عمر :

1 _ الدراسة الوصفية

1-1 _ الوصف الخارجي للزاوية

1-2 _ الوصف الداخلي للزاوية

2 _ الدراسة التحليلية

2-1 _ الدراسة المعمارية

2-2 _ الدراسة الزخرفية

زاوية سيدي محمد بن عمر : تاريخها و عمارتها .

I_ تاريخ زاوية سيدي محمد بن عمر :

نشأت العمارة أول ما نشأت ، حرفة هي البناء في ابسط أشكاله، تم تطورت حتى غدت مجموعة المهن المعمارية المختلفة ، و منذ عصور موغلة في القدم اشتمل البناء في شكله العادي على عناصر مستمدة من العادات و الطقوس الدينية ، وهكذا نجد العمارة مزيجا من العادات و التجارب و من الخرفات و الشعائر الدينية ، أي أنها اشتملت منذ أول أمرها على ناحيتين ، احدهما طبيعية و الثانية سيكولوجية ، سارتا جنبا إلى جنب على مدى الدهور التي تطورت خلالها التقنيات المعمارية (1).

ولعل من أهم أنواع العمارة الإسلامية الزوايا و المدارس و المساجد ... أما الزاوية فهي في الأصل ركن البناء ، و كانت تطلق في بادئ الأمر على صومعة الراهب المسيحي ثم أطلقت على المسجد الصغير أو على المصلى ، ولايزال للكلمة هذا المعنى عند المسلمين في الشرق ، ذلك أنهم يفرقون بينها و بين المسجد الذي يفوقها شأنا ، وهو يعرف أيضا بالجامع على أن المصطلح " زاوية " ظل محتفظا في شمال إفريقيا بمعنى أكثر شمولاً من ذلك ، إذ هو يطلق على بناء أو طائفة من الأبنية ذات طابع ديني و هي تشبه الدير أو المدرسة و قد ذكر دوماس عام 1859 تعريفًا جيدًا للزاوية المغربية ، و الظاهر أن هذا التعريف يتفق في الجوهر و ما عليه الزاوية في الوقت الحاضر (2) .

كما أن مصطلح " زاوية " في المغرب حوالي القرن 13 يأتي مرادفا للرابطة ، أي الصومعة التي يعتزل فيها الوالي و يعيش وسط تلاميذه و مريديه و مع ذلك فإن الزاوية أو الرابطة ليست في جميع الأحوال هي الرباط الذي هو نوع من العمارات العسكرية و الدينية معًا ، لذلك شبهها بعض الغربيين بالأديرة المحصنة

1-محمد نسيب:زوايا العلم و القرآن بالجزائر–دار الفكر دمشق سوريا –مطبعة النخلة ط1 (ب،ت)ص27

2-سيدي محمد الغوتي بسنوسي : أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التقافة الشعبية جامعة تلمسان 2000 ، ج2 ص816 .

و أكتر ما نشأت في شمال إفريقيا لصد محاولات الغزو البحـــري الأوروبي و إعـــداد حملات المجاهدين و يجتمع في الرباط أتباع طريقة دينية ، يعبـــدون الله و يســـتعدون للجهاد ، وأكثر الرباطات كان في تونس و منها رباط مدينة سوسة الذي تم انشـــاؤه عام 821م من طرف الأغالبة و مخططه بسيط جدا ، يحيطه سور مربع الشكل مدعـــم من زواياه .

و نظام الزوايا لا يزال حيا في بلاد المغرب و عرفت على أنها مؤسسة لرؤســـــاء الطرق الصوفية يجتمع فيها مريدوهم لذكر الأوراد ، كما كانت تتخذ مأوى لطلبـــة القرآن و العلم و بقية الزوايا الذين يقصدونها للإستفتاء و الصلح بين المتخـــاصمين ، وكثر هذا النوع من الزوايا إبتداءا من القرن العاشر الهجري بعد هجومات البرتغـــال و الإسبان على الشواطئ المغرب العربي .

و قد كان لبعض الزوايا شأن عظيم ، أستدالت إلى ممالك كالزاويـــة الدلاويـــة بالمغرب التي كتب عنها كثير من المؤرخين و الزاوية السنوسية بليبا .

إذا الزاوية هي مكان يتخده العباد و النساك الذين ينعزلون عن العالم ، فيقيمون فيه شعائرهم الدينية منقطعين إلى حفظ القرآن و دراسة الفقه و العلـــوم الشـــرعية ، و هي مفتوحة على كل قاصد في زيارتها أو البقاء فيها ، وهي محج للطلبة و الزائريـــن ، فكانت توفر لهم أسباب اللقاء و الإقامة من طعام و إيواء و حراسة .(1) و أغلـــب الزوايا بنيت إلى جانب ضريح رجل صالح ، أو عالم مشهور ، أو ضريح مؤسســـها ، فلا نجدها بالقرب من أضرحة حكام أو أمراء ، و شهدت الزاوية تطورا كبيرا مـــع تطور الحركة الصوفية في بداية القرن السابع الهجري .(2)

1- عبد العزيز لعرج المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الأثـــار ، جامعة الجزائر 1999 ، ص 325

2- Marçais . G, L'art Musulman , P.129

و يذهب مارسي إلى أن الزاوية في المغرب الإسلامي ، ما هـــي إلا أربطـــة فقـــدت وظيفتها الحربية و تمسكت بالجانب الديني التعبدي .هذا إلى ان معظم المصادر الـــتي تتحدث عنها تجعلها في نفس الصنف مع الرباط .(1)

1- نشأة زاوية سيدي محمد بن عمر :

عرفت بلاد المغرب و منها الجزائر عدة أنواع من الزوايا ، وانتشرت في شتى البقـــاع و الأصقاع ، في الأرياف و المدن ... و منها زاوية سيدي محمد بن عمـــر بنواحـــي ندرومة ذات الشهرة الكبيرة و الصيت الذائع محليا و إقليميا .

1-1 _ موقعها الجغرافي :

تقع الزاوية في منطقة معزولة من مناطق ندرومة تتميز بالوعورة و صعوبة المسالك و تبعد عن مدينة تلمسان من الشمال الغربي ب 46 كلم، وعن ندرومة بـــحوالـــي 12 كلم و هي اليوم تابعة لبلدية عين الكبيرة التي تقع في ناحية الجنوبية مـــن مركـــز الزاوية و بتحديد في جبال فلاوسن.

يحد الزاوية من الشمال جبال ترارة و مرسى هنين و من الجنوب جبل فلاوســـن الذي يبلغ إرتفاعه 1136 م و غربا مدينة ندرومة و شرقا تلمسان .(2)

تمتد القرية التي توجد بها الزاوية إلى شاطئ سيدي يوشع ، و يـــروى أن الشـــيخ سيدي محمد بن عمر أهديت له على دار للإستراحة و إستجمام مـــن قبـــل احـــد المستوطنين الأثرياء بعدما عالجه ، و صممت داخل هذه الدار قبة كرمز للزاوية .

1- Marçais . G, L'architecture Musulmane de l'occident , Paris , 1954 , P.284.

2-أنظر الخريطة رقم (٥٤)

2-1 تأسيس الزاوية :

في غياب مصادر التأريخ إعتمدنا على الروايات المنقولة بالتواتر عن طريق شيوخها بعد الإتصال بهم و مجالستهم و هم من حفظة القرآن الكريم الملازمين لبيوت الله إظافة إلى طعنهم في السن أن الزاوية قد شيدت في زمن يقرب من خمسمائة سنة ، أي حوالي القرن الخامس عشر الميلادي كحد أدنى .

و يذكر أن الزاوية و مسجدها التابع كان يتميزان بنبع مائي آت من عين في أعلى الجبل تأتي إلى الزاوية و هي عين يقال عن تاريخها أنه ضارب في القدم ، و لعل هذا العامل هو الذي دفع المؤسس الأول و الشيوخ أن يتخذوا هذا المكان لهذه الزاوية فجاء الموقع متمرا في عمارته ، و موقعا يساعد على العزلة و الإنقطاع للعبادة ، الإنفراد دون ضجيج .

و قد إختار مؤسسو الزاوية الموقع لكونه يتوسط قبائل عديدة تفاديا للإنحياز إلى قبيلة دون الأخريات فتحيط بالزاوية إلى اليوم قبائل أولاد بوشعيب و أولاد بن طلحة و أولاد بو زبيب و طهيرة الذيب.

إن إختيار هذا المكان دليل على الروح الصافية لمختاريه فقد كان موقعا قاحلا خاليا من الزراعة باستثناء بعض الأشجار التي كانت القبائل المجاورة لها فيها مآرب عديدة من بناء البيوت و تسقيفها و إستعمال النار للتدفئة و الطهي و ما إلى ذلك ، فاستثمرته الأسرة العمرية (1)و دلك في سبيل إحيائه زمنا طويلا إلى أن أصبح مركز إشعاع ديني و تقافي يتوافد إليه حفظة القرآن الكريم و طلبة العلوم الشرعية و المريدين من القرى و المدن المجاورة كجبالة ولعشاش و بني بوسعيد و السواحلية و مسيردة و بني مسهل و بني عابد و بني وارسوس و الوحاسة و بني منير و تلمسان و مغنية و ولهاصة و بني سنوس و أولاد ميمون و بني صميل(2).

1- نسبة إلى عائلة بن عمر

2- هذه القرى و المدن ذكرها لنا الشيخ الحالي للزاوية سيدي محمد بن محمد بن داود الذي زرناه ببيته بالرمشي

الطلبة و المريدون كانوا يتوافدون لتعلم و التحصيل و الخلوة و التعبد و لايعودون إلى ديارهم و ذويهم إلا بعد تزكية الشيوخ لهم .

و قد جاء على لسان الشيوخ الذين مازالوا يقيمون بالزاوية أن المؤسس الأول لهذه الأخيرة يحمل سرا فذكروا أنه رجل روحاني عالم فقيه و كانت له كرامات حتى أنه إختار هذا المكان لا لربح أو راحة و إنما لعزلة و إنقطاع ليجعل منه مركز دينيا و تقافيا مكملا للمؤسسات الدينية في المنطقة و هي منطقة لا تزال غنية بالعمائر الدينية المختلفة من مساجد و زوايا و كتاتيب .

و ماهي إلا فترة قصيرة حتى أصبحت زاوية سيدي محمد بن عمر (1) الملاذ الروحي و المستقر النفسي و الراحة العقلية و الجسمية لأهالي المنطقة كاملة لما تقدمة من علم و تكفل بالطلبة و حمايتهم و هذا تقليد متأصل منذ نشأة الزاوية .

3-1 التجديدات التي عرفتها الزاوية :

إن للزاوية دوراة التعليم و الإيواء في نفس الوقت لهذا نجد الزاوية تأخذ تخطيطا معماريا يختلف عن المسجد و الجامع و أول ما بدأت الزاوية مسجد للصلاة و العلم و في نفس الوقت ينام بها الطلبة و بيت مجاور للشيخ و أسرته ثم بدأت تتوسع و يزداد عمرانها حتى أصبح لها المسجد و قاعات التدريس و منازل الأسرة العمرية (2) و قاعة العلاج و التداوي لكون شيوخ الزواية كانت لهم حكمة علاج عدة أمراض منها الروماتيزم و عرق النسا و غيرهما (3) .

ومع مرور الزمن و التوسع الذي عرفته الأسرة تمت توسعة المسجد و كثرت المنازل و أصبح للزاوية مقبرتها الخاصة (4) يدفن فيها الشيوخ الزاوية و أفراد عائلاتهم إلى يومنا هذا .

1- انظر صورة المؤسس الأول للزاوية لوحة رقم (17)

2- أنظر شجرة العائلة .

3- Yahia boutemene . La Zaouia des Ouled Sidi-Ben-Amar Ed- La koutoubia Tlemcen -1950 PP 29 – 30 – 31 .

4- أنظر اللوحة رقم (11) .

تجددت بنايات الزاوية عدة مرات لكن ظلت تحافظ على هندستها المعمارية و مخططها الأصلي ، فدخل الأسلوب المعماري الجديد الذي يعبر عـــن الشـــخصية المعماريـــة الإسلامية و الذي تتعايش و يتكامل مع العمارة القديمة (1) .

و هذا رسم لشجرة النسب يبدأ من السيد محمد العالم بن الحاج محمد بن سيدي بن عمر سيدي بن داود بن أبي محمد مولانا عبد الله الشريف حتى آخر النسب من ذريتهم الآن .

فروع أولادمحمد العالم بن سيدي الحاج محمد بن عمر بن داود

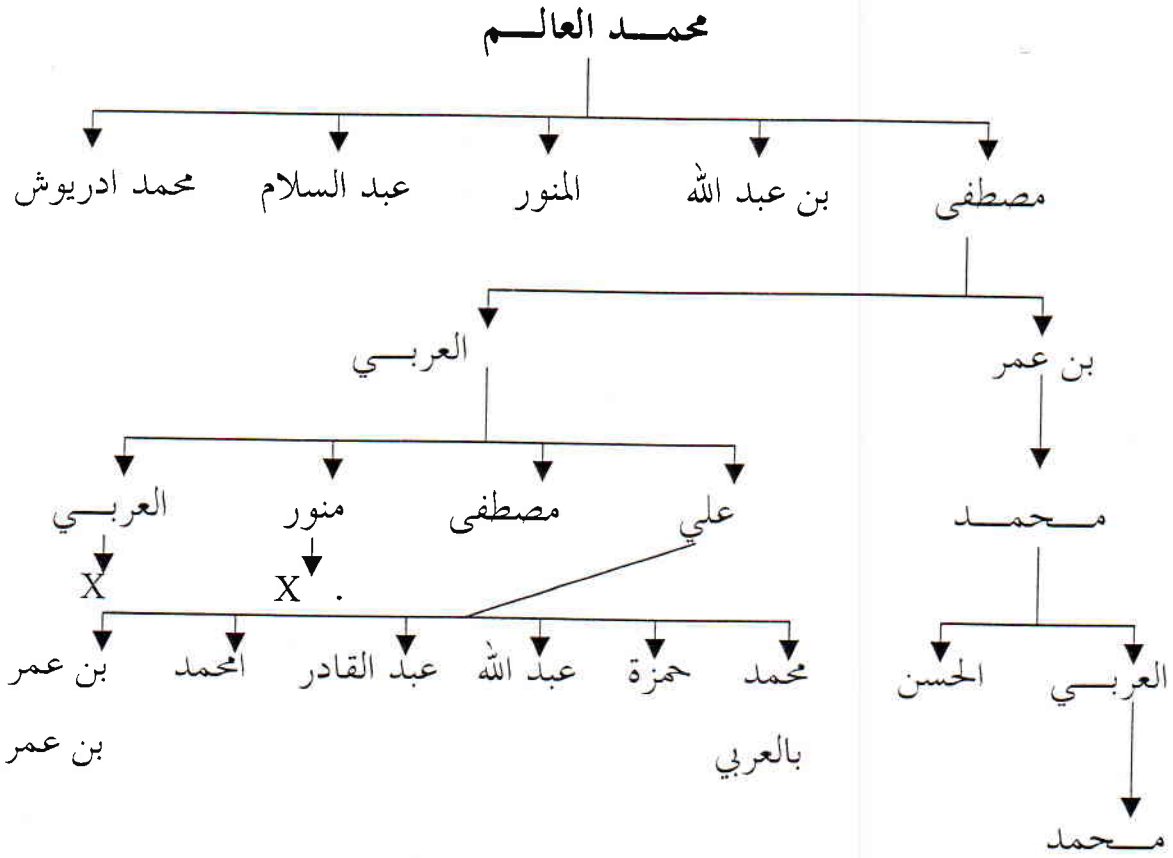

1- أبو صالح الألفي : الفن الإسلامي (أصوله ، فلسفته ، مدارسه) ، دار المعـــارف ، القاهرة ، مصر ب.ت ص 124 .

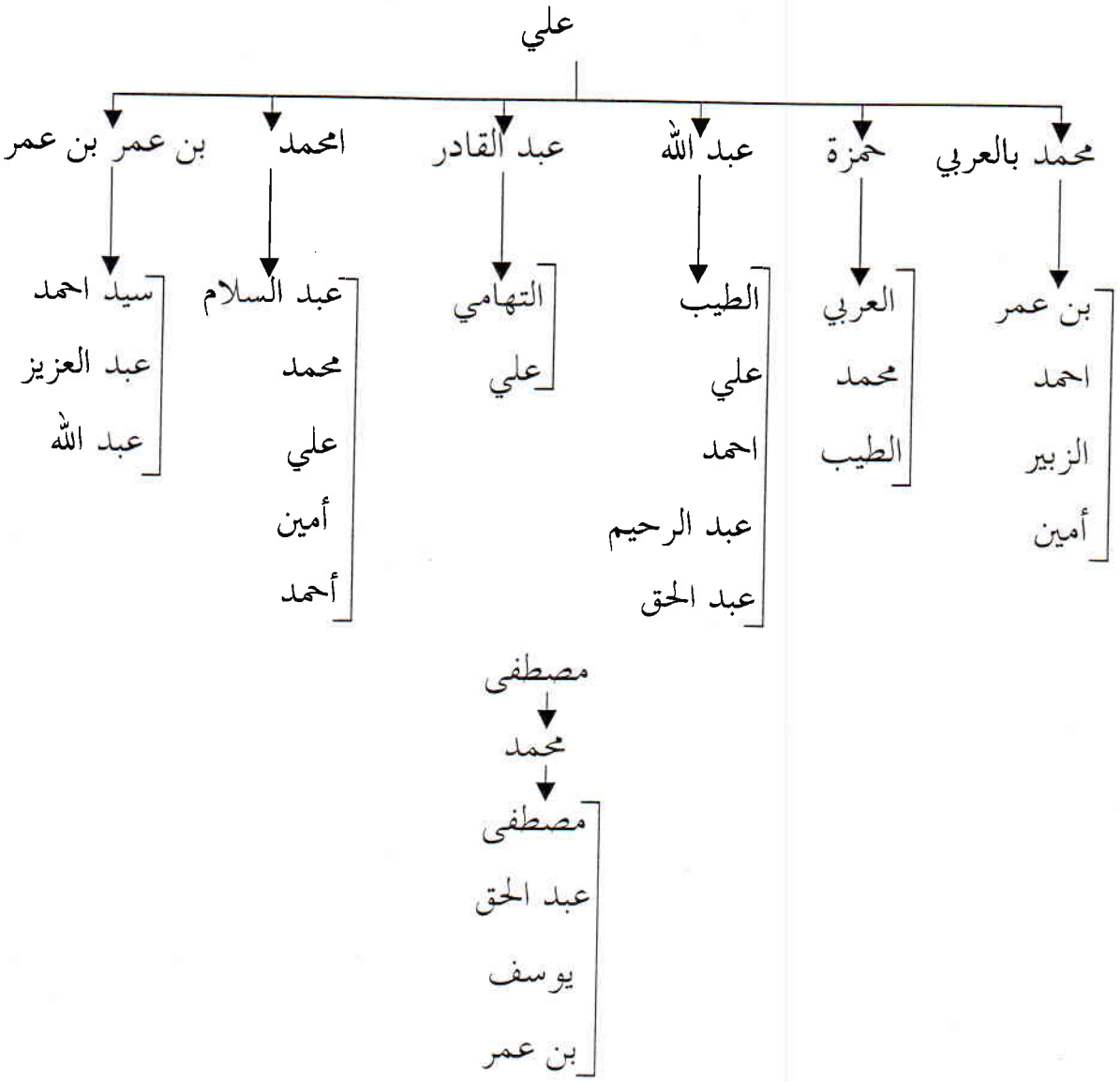

فروع أولاد بن عبد الله

بن عبد الله

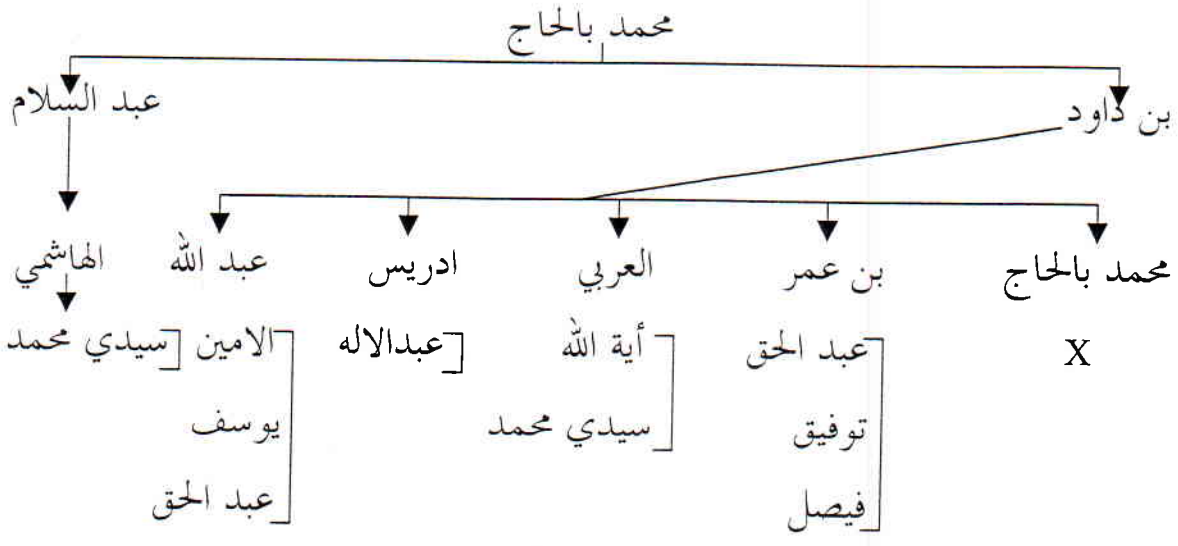

فروع أولاد المنور

الـــمنور

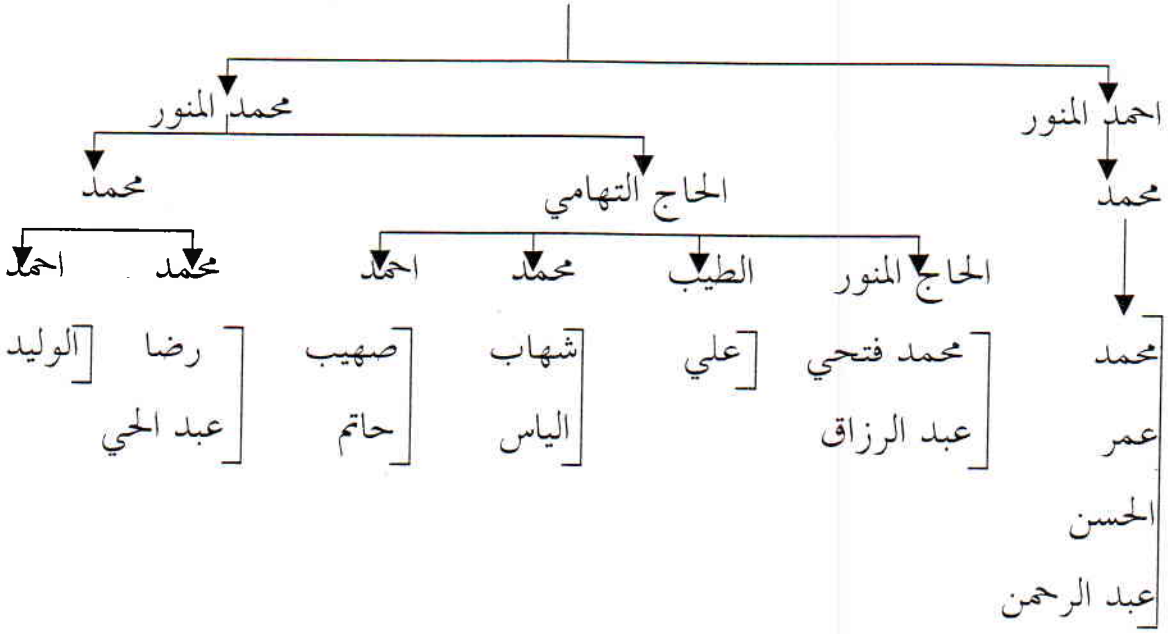

فروع أولاد عبد السلام

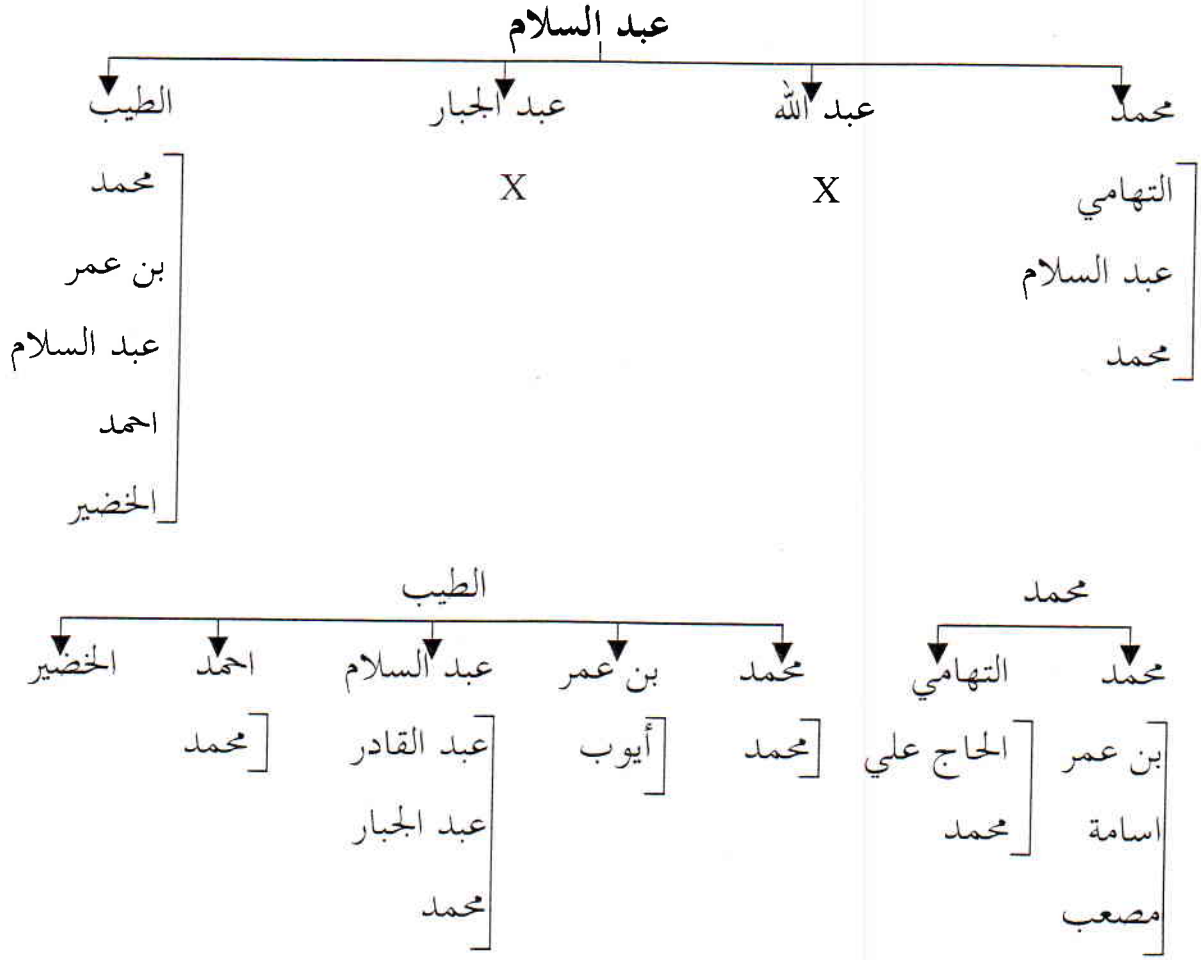

فروع أولاد محمد ادرويش

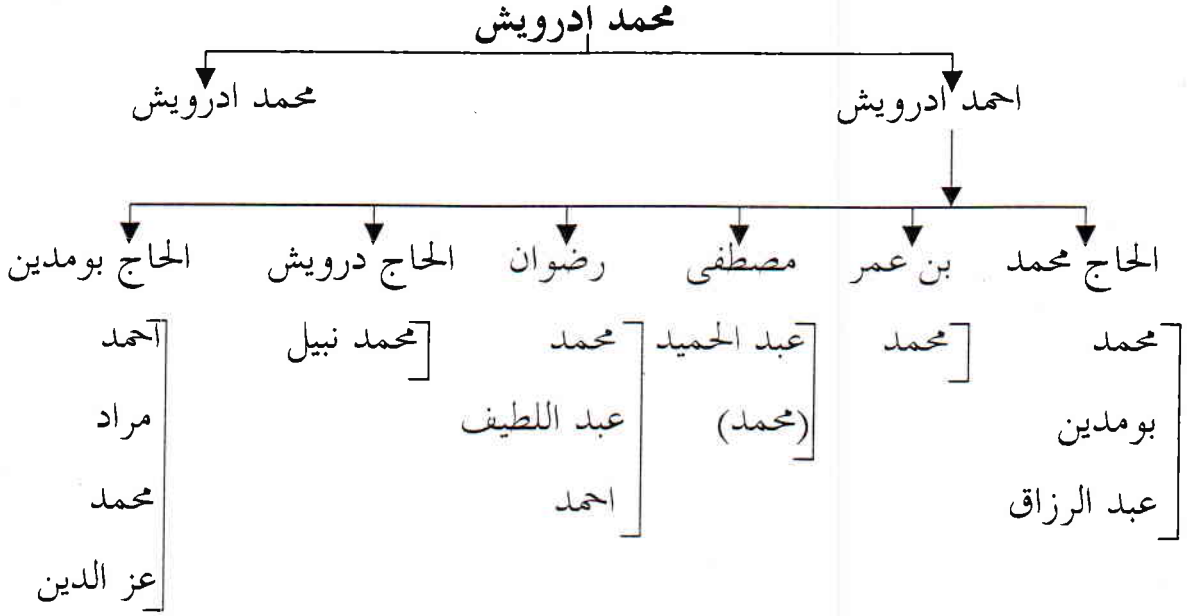

-و أما سابع هؤلاء الاخوة و هو السيد أحمد لو يخلف أحدا

فروع أولاد احمد الكبير بن محمد بن عمر بن داود

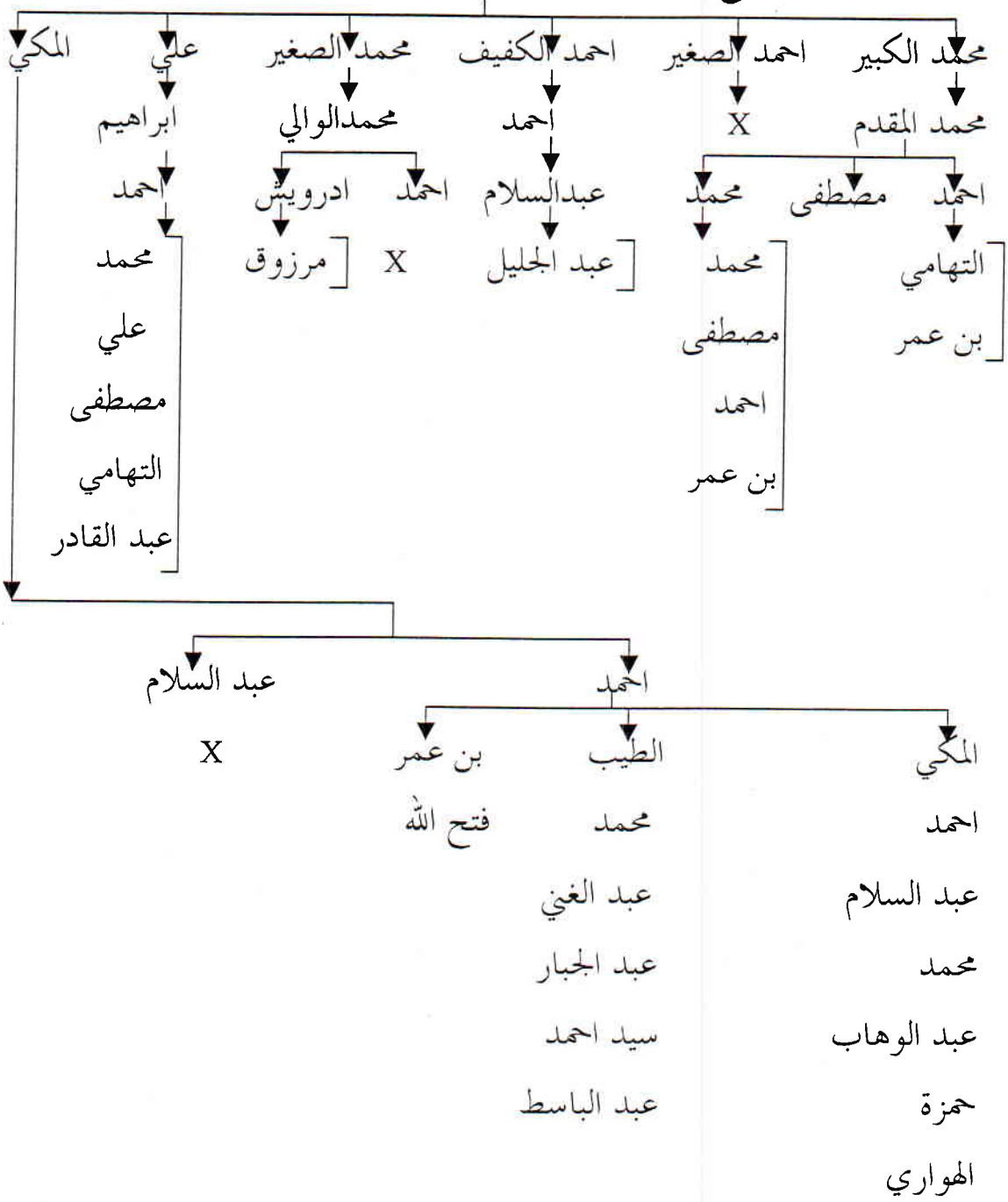

فروع أولاد سيدي محمد بن عمر بن داود

المعروفين حاليا بابن (عمر بلعيش)

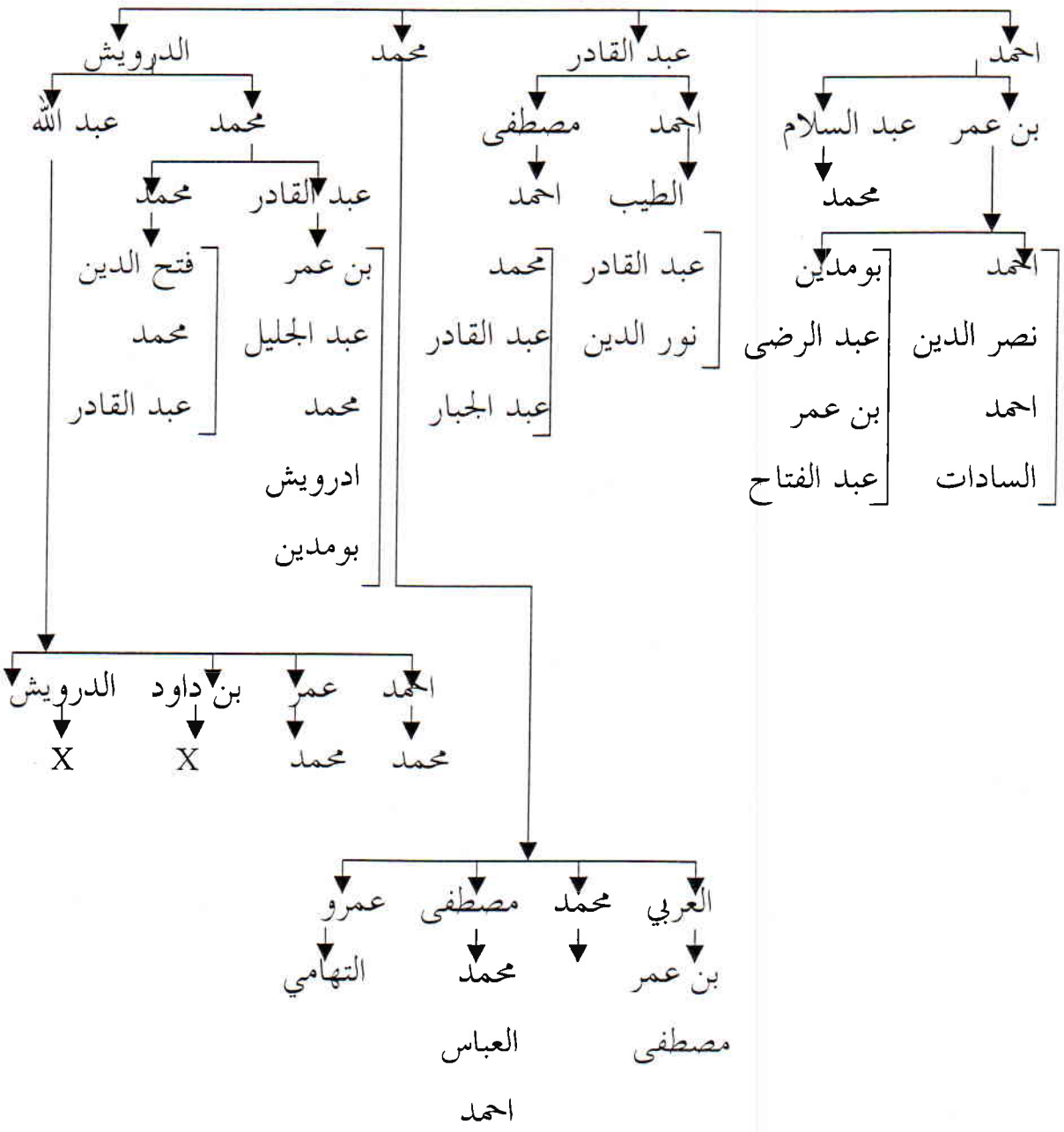

فروع أولاد سيدي محمد بن عمر بن داود

المعروفين حاليا بـــ ملازم بن الطيب

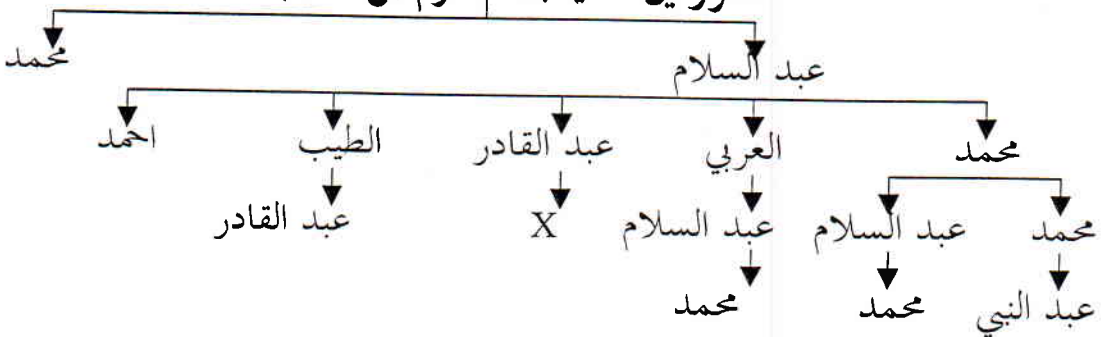

محمد

بن عمر

عبد السلام

فروع أولاد سيدي محمد بن عمر بن داود

المعروفين حاليا باسم(احمد بن احمد زاوي)

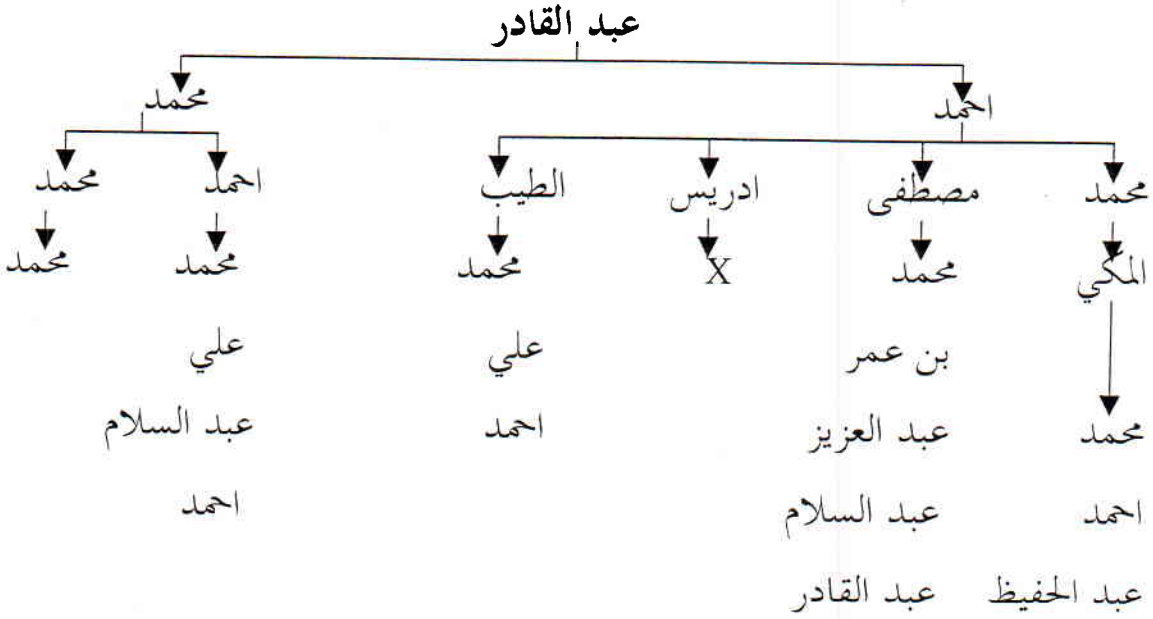

3- الحياة الثقافية لزاوية سيدي محمد بن عمر

كانت أمكنة التعليم متعددة ، شملت الكتاتيب و المساجد و الرباطات و المكتبات العمومية و الخاصة ، و قصور الأمراء و الكبراء و دور العلماء ، وحتى الدكاكين ، و لربما كانت الأسواق و الطرقات العامة محلات للتناظر و التباحث.

و يبدو ان هذا التعليم ظهر أول ما ظهر في أواخر القرن الأول الهجري في خلافة الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي ولي المغرب اسماعيل بن أبي المهاجر الذي كان هو نفسه مؤدب أولاد عبد الملك بن مروان ، فسار بالناس أحسن سيرة ، ودعا البربر إلى الإسلام ، و علمهم الحلال و الحرام ، وقد كان الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بعث عشرة من فقهاء أعل علم و فضل ، فقاموا بنشر تعاليم الإسلام أحسن قيام (1).

بنيت في المغرب العربي زوايا كثيرة على شكل مساجد يؤمها الصوفية المتعبدون و يدير أمرها مشايخ الطرق ، يصلون فيها و يدرسون القرآن و مختلف العلوم و يذكرون الله فيها آناء الليل و أطراف النهار ، و يربون الناس فيها تربية علمية روحية.

و أهم اعمال الزوايا التربية و التعليم إلى جانب القيام ببعض أعمال البر و الاحسان ، و زيادة على أعمالها الثقافية فإنها كانت مراكز للغرباء و الفقراء و ملاجئ للمجاهدين أيام الثورة التحريرية الكبرى ضد الإستعمار الفرنسي .

و تعتبر الطرق الصوفية التي تنتهجها الزوايا من الأعمال الكبرى في تاريخ المغرب العربي ، حيث أنها حافظت على القرآن الكريم و الإسلام طيلة القرون السابقة.

و توجد في ندرومة و نواحيها عدة زوايا تقوم بأعمال البر من إطعام الفقراء و المساكين و الضيوف و تلاوة القرآن و الذكر و الدراسة العلمية في مختلف الميدين و تعليم الأطفال.

1- طالب عبد الرحمن ، الطرق التربوية المتبعة في الكتاتيب القرآنية بندرومة ، بحث تربوي لدبلوم الدراسات المعمقة ، معهد الآداب ، جامعة وهران ، 1977 .

يصادف الزائر لمكتبة زاوية سيدي محمد بن عمر الكائنة في صدر الحجرة المحمدية عناوين عديدة لكتب يعرف من خلالها طبيعة الدراسة في هذه الزاوية ، بعض الكتب تكررت بعدة نسخ للكتاب الواحد و هذا دليل على أن الدراسة كانت تتم بأن يأخذ كل طالب نسخة و يقرأ احدهم و يستمع الشيخ و الآخرون ، فيعلق الشيخ و يحقق و يشرح و الطلبة يستمعون إلى شروحه و يدونون الملاحظات الجديدة على المادة ، و هي طريقة كانت متبعة في المدارس الدينية الأولى (1).

أما ابرز هذه الكتب هي التي تمثل إهتمام الطلبة و أولها كتب الفقه ثم كتب اللغة ثم تفسير القرآن الكريم و شروح الحديث ، و طلبة في ضوء هذه المصنفات مراحل فالمرحلة الأولى يبدأون بدراسة العلوم الأولية و ذلك يحفظ الطالب المصنف ، و هو مدون على اللوح في نفس اللحظة التي يكتب فيها النصوص القرآنية من آية أو سورة، فإذا تم حفظه و اتقانه لهذه النصوص بحيث يجيزه الشيخ بأنه اصبح حافظا للقرآن الكريم عندئذ يتحول الطالب إلى دراسة العلوم على يد العلماء الذين صنفوا الكتب في هذه العلوم ، و يأتي في المقدمة كتاب ابن عاشر الفقيه الحجة الشيخ عبد الواحد و كتاب الرشد المعين الضروري من علوم الدين على مذهب الامام مالك بن أنس في الفرائض الخمس فيقرأه الطالب مرة أو مرتين لينتقل بعد دلك ألى علوم اللغة فيقرأ الاجرومية لابن آجروم لأنها تمثل البدايات الأولى لعلم النحو عندهم تمهيدا للانتقال إلى مصنف آخر في اللغة اعقد منها مثل ألفية ابن مالك للامام أبي عبد الله محمد جمال الدين ابن مالك المتوفى سنة 672 هـ و شرحها لابن عقيل ، وتبقى الآلفية ملازمة له طول حياته حتى بعد أن يجيزه الشيخ و يكون قد قرأ قطر الندى و بل الصدى لابن هشام الانصاري و كذا لامية الافعال و غيرها من المصنفات اللغوية .

1- قدور ابراهيم عمار، زاوية سيدي محمد بن عمر تاريخها و نشأتها ،ط1 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1997 ص 108.

أ ما العلوم الفقهية فيتحول فيها الطالب إلى المرحلة الثانية و في يده كتاب رسالة أبي زيد القيرواني على مذهب الامام مالك بشرح أبي الحسن و بعد اتمامه ينتقل الطالب إلى المرحلة الثالثة و التي تمثلها المصنفات الفخمة ذات الدراسات المعمقة و يأتي في مقدمة هذه المصنفات شرح منح الجليل على مختصر العلامة خليل بن اسحاق ، و فيه يتقن الطالب جميع التشريعات الفقهية و يصبح بعدها متمكنا و عندئذ يحصل على اجازة الشيخ في ممارسة الامامة و التدريس .

لم يقتصر دور الزاوية على التعليم النظامي العلمي فحسب و إنما اخذ بعين الاعتبار بسطاء الناس ممن تجاوزت أعمارهم و ضعفت مداركهم فخصصت لهم حلقات تلقى فيها دروس تناسب فهمهم و مستوياتهم في العبادات و الفرائض باسلوب مبسط حسب المناسبات مثل الدروس الرمضانية ، و أركان الحج ، و الأذكار النبوية و غالبا ماكانت تلقى هذه الدروس في مسجد الزاوية بين اوقات الصلوات .

II_ الدراسة الفنية لزاوية سيدي محمد بن عمر :

إن مايميز العمارة الإسلامية في شرق العالم الإسلامي و غربه الوسع و الإهتمـــام الكبيرين ببناء المدارس و التي يعد إنشاؤها من المنجزات العظيمة من الناحيتين العلميـة و الفكرية ، و كذلك من الناحية المعمارية الفنيية (1) .

فزاوية سيدي محمد بن عمر تحفة معمارية لها اصالة معمارية فريدة ذات طراز فـني مميز (2) .

1- الدراسة الوصفية :

الريازة التي بنيت بها الزاويةهي ريازة الأدارسة لكون الأسرة العمرية تنتمـــي إليها و البناء في العموم هو مغاربي أندلسي يحمل في نفس الوقت خصوصيات البيئـة المحلية و ما يمليه الضمير الجمعي من الزخرفة و عمارة و تقاليد .

1-1 : الوصف الخارجي للزاوية :

إن الواقف خارج الزاوية باتجاه القبلة يرى بابين لهما نفس المقاســـات و همـــا 1،20 م عرضا و 2،20 م علوا و ست نوافذ ، تلاثة علية و ثلاثة سفلية و في الجـــدار اليميني يبرز باب ضخم يوحي بعضمة الزاوية و شموخها و هو باب رئيسي ، مقاساته 3م عرضا و 4م علوا ، ينتهي في أعلاه في شكل نصف دائري يتقدمه مدخل ذو ثلاث جهات مفتوحة بدون أبواب لتسهيل دخول المصلين و الطلبة و المريدين و الـــزوار ، الباب الرئيسي يتكون من دفتين عرض كل واحدة 1،50م وهو خشبي منمق بلوالـــب نحاسية لها دورين الأول تثبيت أخشاب اللوح و الثاني زخرفي تجميلي .

و خارج الزاوية فناء كبير مستطيل الشكل محادي لطريق معبد يوجد في الجهة الغربيـة للزاوية .

1- مصطفى صالح لمعي ، التراث المعماري الإسلامي في مصر ، ط1 ، درا النهضة العربية ، بيروت ، لبنان 1984.

2- أنظر اللوحة رقم (**12**).

أما مسجد الزاوية فمربع الشكل يمتد على طول 16،50م × 16،50م يتوسطه مدخل رئيسي في الجهة الشرقية طوله 2،80م و عرضه 1،60م ، تزينه زخارف هندسية و تعلوه زخرفة كتابية جاء فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم.

و أن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا

كما يوجد على جدار القبلة ، على جانبي المحراب بابان صغيران نسبيا مقاساهما: 2م × 0،90م ، الأول يؤدي إلا مقصورة الإمام و الثاني يصل إلى الخارج .

2-1 الوصف الداخلي :

يمر الداخل إلى الزاوية عبر فناء واسع ثم يمر بسلم قليل الإرتفاع إلى باب المدخل و هناك يقابله مباشرة بهو واسع مستطيل الشكل بمقاسات : 4م × 3م على اليمين يوجد باب خلفه سرداب ينتهي إلى دهليز به مضيأت خاصة بالطلبة و المقيمين ، و على اليسار باب متوسط الإتساع بمقاسات 2،20م علوا و 1،20م عرضا من دفتين يؤدي إلى قاعات التدريس .

1-2-1 المصلى :

و يسمى عادة المسجد أو قاعة الصلاة و هو مستقل بموضع قريب من الزاوية في شكل مربع .

تأتي قاعة الصلاة على محور واحد مع البوابة فهي تتوسط البهو اخدت شكلا مربعا مقاساها : 16،50م في كل ضلع ، زينت أرضيتها بالبلاط المزخرف على شكل مربعات بمقاسات 25سم × 25سم .

كسيت جدران القاعة من أسفل على إرتفاع 1،20م بالفسيفساء الخزفية ذات الزخارف الهندسية ، و تحيط الزخرفة بكامل إسفل الجدار في اضلاعه الأربعة ماعدا فتحة المدخل و يفصل هذه الزخرفة عن الأرضية حزام من الخزف دو اللون الأسود عرضه 10سم و طول كل وحدة خزف 20سم .

كذلك الأعمدة الموجودة بداخل قاعة صلاة فهي مكسية بالخزف الملون (1) .

عدد الأعمدة 16 عمودا ، مربعة الشكل بمقاسات : 3م علوا و 30سم لكل ضلع و ينتهي كل عمود بتاج له وظيفتان الأولى حمل القوس و الثانية زخرفية (2).

عدد البوائك خمسة و عدد الأساكيب خمسة .

سقف قاعة الصلاة تزينه الثرايا العديدة رغم أن النوافذ كثيرة و فتحات الإضاءة متعددة مبنية على الطراز المغربي زجاجها مختلف الألوان يضفي نوعا من الجمال .

2-2-1 المحراب :

يتوسط الجدار الشمالي لقاعة الصلاة ، تجويف الجدار يبلغ عمقه 1،80م و عرضه 2م ، ذو أضلاع خمسة كما هو في المحاريب المغاربية ذات الخمسة أضلاع ، كسي اسفله ببلاطات خزفية. كوشة المحراب هي قوس حدوي مسنن مزخرف بقوقعتان .

يعلو المحراب لوحة رخامية طولها 4م و عرضها 1،50م محاطة بشريط من مراوح النخيل مكتوب عليها بخط كوفي آية قرآنية في ستة أسطر (3) على النحو التالي :

السطر الأول **بسم الله الرحمن الرحيم**

السطر الثاني **إن الذين يتلون كتاب الله و أقاموا الصلاة**

السطر الثالث **و انفقوا مما رزقناهم سرا و علانية يرجون**

السطر الرابع **تجارة لن تبور ليوفيهم اجورهم و يزيدهم**

السطر الخامس **من فضله انه غفور شكور**

السطر السادس **صدق الله العظيم**

1- أنظر اللوحة رقم (13) .

2- أنظر اللوحة رقم (13) .

3- الآيتان رقم (29و30) من سورة فاطر

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الذين يتلون كتاب الله و أقاموا الصلاة
و انفقوا مما رزقناهم سرا و علانية يرجون
تجارة لن تبور ليوفيهم اجورهم و يزيدهم
من فضله انه غفور شكور

صدق الله العظيم (1)

كما توجد ع لى جانبي المحراب لوحتان خزفيتان الأولى على اليمين مكتوب عليـــها اسم الجلالة على النحو التالي :

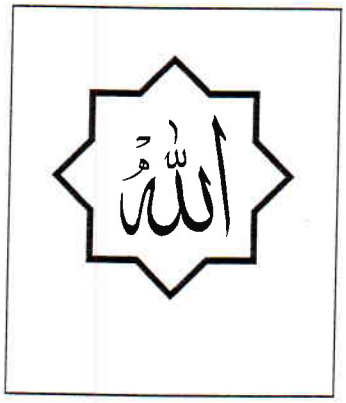

و الثانية على اليسار مكتوب عليها :

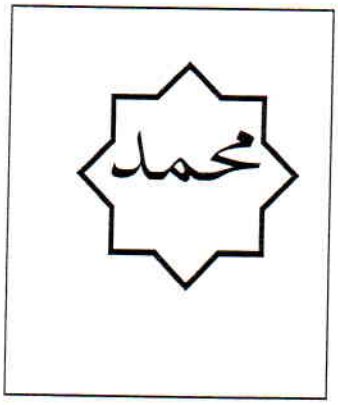

3-2-1 القـــبـــة :

تتميز قاعة الصلاة بوجود قبة واحدة مركزية تتوسط السقف مبنية على قـــاعدة رباعية أي تتربع على دعامات أربعة بمقياس 4م × 4م ، يبلغ علو القبة 2،20م ، توجد بها عدة فتحات زجاجية للتهوية و الإضاءة .

1- أنظر اللوحة رقم (**14**).

4-2-1 الـــمئذنـــة :

تحتل مئذنة جامع الزاوية الركن الشرقي لبيت الصلاة من الجهة اليمنى ، و هـــي بارزة عنه ذات جزء سفلي مربع ، و بدن مربع ، يبلغ إرتفاعها 11م ، يبدو من خلال شكلها صفة الحداثة لكونها مكسوة بالآجر الأحمر و هذا دليل على ان التجديدات قد مستها هي الأخرة .

و هي مقسمة إلى قسمين :

_ القسم الأول

يتمثل في الجزء السفلي المربع المكون لبدن المئذنة بمقاســـات 2،50م × 2،50م و يصل إرتفاعه إلى 9م ، توجد في ضلعه الجنوبي فتحة في شـــكل بـــاب مســـتطيل بمقاسات :2،20م × 0،90م يوصل إلى قمة المئذنة بواسطة سلم .

_ القسم الثاني

يتمثل في الشرفة و الجوسق :

-الشرفة : مربعة الشكل ، مسننة ، إرتفاعها 1،20م

-الجوسق : مربع الشكل بمقاسات 1م × 1م ، تعلوه قبيبة صغيرة يعلوهـــا ســـفود حديدي تبث في اعلاه هلال .

4-2-5 غرف التدريـــس :

تحتوي الزاوية على أربعة قاعات متساوية الطول و العرض و الإرتفـــاع بمقـــاييس 6م x 6م لكل منها ، و تقع على صف واحد في الجهة الجنوبية الغربيـــة للزاويـــة ، و تطل على رواق مستطيل يعلوه اربع نوافذ للإضاءة و التهوية ، و تخلو القاعات من مصادر للتهوية باستثناء الأبواب المطلة على الجنوب بمقاييس 2،50م x 1،20م لكـــل واحدة منها ، باستثناء القاعة الأخيرة المطلة على الجهة الغربية تعلوها نافذة بمقـــاييس 2،50م x 1م .

أما الجدار الخلفي لقاعات التدريس فهو الفاصل بينها و بين قاعة الصلاة.

و قد خصصت القاعة الأولى المحاذية للبهو ككتاب لتعلم القرآن الكريم و مبـادئ اللغة العربية للأطفال الصغار أما القاعة الموالية فقد اعدت لحفظ القرآن و إتمام للكبار، و القاعة الثالثة فقد خصصت لمحو الألواح ، بها كميات من الصلصال و الصمـــغ ، و من القصب و جرار للماء و بعض الأواني البسيطة ، أما الأخيرة فقـد خصصـت لراحة المريدين و الطلبة الجدد أيام الإستقبال .

هذه القاعات مؤثثة بحصر من الحلفاء و الدوم و مجموعة ألـواح مـن الخشـب و بعض الكتب النحوية و الصرفية و كثير من المصاحف بروايـة ورش عـن نـافع و بالرسم العثماني.

6-2-1 قاعتان خاصتان :

كما تحوي الزاوية على قاعتين إضافيتين بمقاييس متساوية طولاّ و عرضاّ و إرتفاعـاّ (6م x 6م x 4م) ، وقد كتب على باب القاعة الأولى منهما مايلي :

الحجرة المحمدية

لتعليم الأجرومية و البردة و العربية (1).

من خلال اللوحة يستشف الدور العلمي و الثقافي للزاوية التي كانت متخصصة في شتى العلوم كاللغة و النحو و الصرف و المتون و البردة للإمام البوصيري التي كـانت تُدرس بمخطوطات في تخصصاتها. أما القاعة الثانية فهي مخصصة لعلاج بعض الأمراض كالروماتيزم و عرق النسا... وتقع هاتان القاعتان في الجهة الشرقية المقابلـة لبيـت الصلاة

7 – 2-1 : غرف الطلبة :

تتوفر الزاوية سيدي بن عمر على ثلاث غرف متنوعـة و بمقـاييس متسـاوية (4م x 4م) و التي تقع في سرداب على المحيط الخارجي بواسطة مخرج. و قد خصصت القاعة الأولى و الثانية لإيواء الطلبة أما الثالثة فهي للزوار و عابري السبيل.

1- أنظر اللوحة رقم (15)

8 –2 –1 : الميضأة :

تقع اسفل قاعة الصلاة في نفس سرداب غرف الطلبة و في الجهة المقابلة لهم و التي يبدو عليها الحداثة و التجديد مما أفقدها طابعها المعماري الأصيل و هي اليوم لا تختلف كثيرا عن الميضآت الحديثة ، و رغم ذلك و حسب بعض المصادر الشفاهية فإنها كانت تشمل خمس بيوت خلاء مزودة بمياه جارية بواسطة قنوات تقليدية و التي يعلوها صهريج يندفع منه الماء بشكل دائم و قد أوصل هذا الصهريج بالنبع الآتي من عين من أعلى الجبل (1).

9 –2 –1 : الأضرحة

في الجهة الشرقية للزاوية و على بعد نحو ميل توجد مقبرة الزاوية و قد خصصت للأسرة العمرية دون سواها ، و الزائر للمكان تقع عيناه من على مسافة بعيدة على أربعة أضرحة لشيوخ الزاوية متناثرة في مساحة المقبرة و هي للشيوخ :

_ سيدي محمد العالم _ سيدي علي

_ سيدي محمد المنور _ سيدي محمد ادرويش (2)

2 – الدراسة التحليلية :

1– 2 الدراسة الزخرفية :

1– 1– 2 الزخارف الهندسية :

تتميز الزخارف الهندسية في العناصر الخطية و تداخلها و تقاطعها ، كذلك في العناصر المساحية ، كالدوائر و المربعات و المضلعات و الأشكال البيضوية .

1– قدور إبراهيم عمارة زاوية سيدي محمد بن عمر تاريخها و نشأتها ط1 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، وهران ،1997 ، ص30.

2– أنظر اللوحة رقم (**16**).

و ما امتاز به الفن الاسلامي هو فكرة التقاطع الخطي على غيرما عرفه الفن الكلاسيكي ، وهذا التشبكات التي تنشأ عن التقاطع و التي تعرف بالطبق النجمي الثماني رؤوس و المتعدد الرؤوس(1) ، كما تظهر الزخارف الهندسية في العقود الحدودية و الدائرية و المنكسرة و غيرها من العقود.

إن الزخرفة الهندسية برزت في شكل لوحات مستقلة في جدار قاعة الصلاة للزاوية، كما هو في إطار المحراب (2).

و من الواضح أن التطبيقات الهندسية في الزخرفة تظهر جليا في المساحات المكسوة بالزليج ، سواء في البوابة على الإطار الذي يحيط بعقد المدخل ، أو في الجدران بقاعة الصلاة.

و في المغرب عموما كان العمل بالزخرفة الهندسية على الجص جد محدود إلا في بعض الأماكن مثل قبة مسجد سيدي ابراهيم بتلمسان .

و بصفة عامة فالزخرفة الهندسية عرفت تقلصا ملحوظا على الجص ، إلا أن تطبيقاتها على الزليج عرفت تطورا كبيرًا في القرنين الثالث عشر و الرابع عشر الميلاديين (السادس و السابع الهجريين) و عرفت تطوراً مع الهندسة ، وذلك في تلبيس أفاريز المآذن و واجهات المداخل ، و القاعات و الأرضيات فتح مجالا خصبا للتداخل في المضلعات المصنوعة من الزليج .

و لأن سهولة تحضيره التي تعتمد على تجميع القطع فوق أشكال مرسومة مسبقا أصبح إستعماله منتشرا في المباني (3).

إتجه البعض أن هناك تعبير بواسطة الفنون الزخرفية ، و الخط ، وفي دلالة تلك الأشكال و الخطوط إلا أن تفسيراتها ما زالت نسبية.

1–العربي لقريز : مدارس السلطان أبي الحسن.....،

2– أنظر اللوحة رقم (14).

1- Marçais. G, l'Architecture musulmane d'occident, Paris, 1954, P 356.

و طغى الشكل المربع في زخارف الزليج التي تكسوا العمائر الإسلامية سواء الدينية أو المدنية منها ، فكسيت الأرضيات بمربعات ذات ألوان مختلفة تعكس أشعتها .

و لعل فكرة المربع مرتبطة بالجانب الروحي و العقائدي لدى المسلمين ، فالكعبة ذات أربعة أضلاع ، و عدد الخلفاء الراشدين أربعة إلى غير ذلك من القياسات التي تبدو سطحية في طرحها .

2- 1- 2 : الزخارف الكتابية :

أخدت الكتابة دورًا كبيرًا كعنصر زخرفي في العمائر فقد جاءت الكتابة على شكل زخرفة نجد ذاتها كالأشرطة الكتابية الفاصلة بين الزخارف النباتية و الهندسية أحيانا و المنفذة بالخط الكوفي المورق المتفرع في نهايات الحروف التي تصبح متشابكة مما ينتج تشكيلة زخرفية عناصرها مختلفة.

و يصعب التميز بين الكتابة و الزخرفة و لا يتفطن لها إلى الخبير في الفنون و الخط.

توجد بغرف الطلبة لا تفك رموز كتابتها بسهولة لأنها أصلا لم تحمل غاية في القراءة بل هدفها زخرفي محض ، هذا ما نلاحظه في عبارات إسم الجلالة " الله " و " الحمد لله " و " محمد رسول الله ".

أما النصوص القرأنية و الكتابات التأسيسية فكانت تنفذ بالخط الكوفي و هذا مانراه في الكتابة التاسيسية في أعلى جدار الممر المؤدي إلى قاعة الصلاة ، مع الإشارة أن حالتها اليوم متدهورة بسبب الأصباغ المترادفة على سطح اللوح الخشبي ، و الذي يحول دون قراءة الكتابة .

إن إختار الفنان في منطقة تلمسان عموما و ندرومة خصوصا للخط الكوفي لما فيه من جمال في تعريجاته الهندسية التي نراها على المساحات الجصية للجدران في قاعات الصلاة مثل قاعة المدرسة المرينية خاصة مدارس السلطان أبي الحسن(1).

1- العربي لقريز ، نفس المرجع ، ص 109.

و على العموم فإن الخط الكوفي اقتصر بشكل واضح في إستعماله سواء على الجص ، أو الخشب كعنصر زخرفي في عبارات متكررة و متقابلة أحيانًا ، و أضيف له في العهد الذي عرف به الفن المغربي مرحلة بروز قوية ، العناصر النباتية و الهندسية فأضحى لا ينفصل عن الإطار الزخرفي إلى المعنى الكتابي له.

و من المعروف في العمارة الإسلامية بصفة عامة انعدام الزخارف الكتابية و الكتابات على الأرضية ، وهذا إنطلاقا من قداسة الحرف العربي ، و إحترام اللغة التي كتب بها القرآن الكريم ، فالكتابات دائما تظهر في إطار مقابل على شكل لوحة أو إفريز يحيط بالقاعة و للخط الكوفي الحظ الأوفر في هذه الزخرفة.

و قامت الكتابة بدور بارز في الزخرفة و كان مصدر إلهام الكتابات هو القرآن الكريم كعبارة البسملة " بسم الله الرحمن الرحيم " التي إنتشر إستعمالها و كلمة " لا إله إلا الله " و " محمد رسول الله " و " الله " و " محمد " ، و التي تخلص مفهوم الإسلام و نظرا للصورة الجمالية للزخارف الكتابية ، أصبحت لوحات فنية ترتاح لها النفس و تشغل البصر (1).

1- GUSTAVE Lebon, la civilisation des arabes, SNED, Alger, 1969, P419.

الخاتمة

إن حقيقة تطور الأمم و المجتمعات تعتمد اساسا على مدى قدرتها على التلاؤم مع التغيرات اللازمة لتطوير نوعية إستجابتها للتغيرات الخارجية و الداخلية ..... و قد مرت المدينة عبر التاريخ بصور و أشكال عديدة ، حيث كان لتطور العوامل المختلفة زمانيا و مكانيا التأثير المباشر على المدينة وظيفيًا و فنيًا.

و لعل إنحطاط معظم الحضارات و موت العديد منها يبدأ عندما تعجز هذه المجتمعات عن التكيف مع المستجدات التي واكبت الحركة البشرية ، فقد لعب الإنسان مع تطور عقائده و فكره السياسي و الإبتكاري دوره ببراعة في تشكيل الحياة المدنية و تعتبر مدينة ندرومة حاضرة عربية مغربية شهدت تعاقب عدة حضارات عبر الازمنة و العصور ، فما وصل إلينا من آثار و بقايا و مخلفات لا يعبّر إلا على الجزء اليسير من حضارة ضاربة في أعماق التاريخ.

و من أهم ما ميز حاضرة ندرومة قديما و حديثا مسجدها الجامع الذي صنّف وطنيا عام 1912 كتحفة أثرية و من اقدم المساجد في الجزائر ، الذي بناه يوسف بن تاشفين خلال عام 474 هـ الموافق ل 1081 م و يقع وسط المدينة القديمة (حي التربيعة) و من الفوارق العجيبة ان المسجد بني بدون مئذنة ، وقد ألحقت به خلال الفترة الزيانية من عام 749 هـ الموافق ل 1348 م .

يشبه الجامع الكبير بندرومة المسجد الكبير بالجزائر و ذلك من حيث التصميم المعماري العام و هو تصميم يتالف من مستطيل يمتد من الشرق إلى الغرب كجامع القرويين بفاس و هو ضمن الطراز المغربي للعمارة الإسلامية ، وقد أدى هذا التصميم العام إلى أن يكون عرض المسجد أكثر من عمقه ، كما احتوى المسجد على رواق القبلة و رواقان جانبيان و رواق مقابل لرواق القبلة إذ أن معظم بيوت الصلاة في الجوامع مستطيلة الشكل .

إشتمل على حوامل و عقود و مداخل و هي في مجملها تندرج ضمن الطراز الفنية المغربية.

أما الهيئة المعمارية الثانية للمسجد فهي المئذنة التي تحمل الركن الشمالي منه ، وقد بنيت على أيدي سكان المدينة خلال العهد الزياني ، و تتميز هذه المئذنة كبقية المآذن الزيانية بأنها متأثرة و مقتبسة من المآذن الموحدية و هي بذلك لا تخرج عن الطراز المغربي لعمارة المآذن بشكلها المربع ذات الشرفة الواحدة و الجوسق.

مجمل القول ان المسجد الجامع بندرومة اخد نمطه الفني و طرازه المعماري من بلاد المغرب ، و من جامع القيروان كمرجعية تاريخية أثرية ، و هو مايقال ايضا على المئذنة خلال العهد الزياني .

و إلى جانب المسجد إشتملت المنطقة على زاوية عدّت من أهم الزوايا التي أرّخ لنشأتها الكثير بالعهد العثماني و منذ نهاية القرن السادس عشر ، و تقع في منطقة معزولة من ضواحي ندرومة تتميز بالوعورة و صعوبة المسالك ، عرفت الزاوية نشاطًا لما إحتوته من حياة ثقافية و علمية إنطلاقًا من كتابها و قاعات تدريس العلوم الدينية و الدنيوية و مكتبتها الزاخرة بالمخطوطات النفيسة .

لن تخرج زاوية سيدي محمد بن عمر في طرازها المعماري عن العمارة المغربية ، حيث أن الريازة التي بنيت بها الزاوية هي ريازة إدريسية كون الأسرة العمرية تنحدر منها و البناء في العموم مغربي أندلسي يحمل في الوقت نفسه خصوصيات البيئة المحلية و ذلك لأن الثقافة المعمارية تأخذ معناها من العوامل الجغرافية و الظروف التاريخية و الأوضاع الفكرية التي تميز مجتمعًا من المجتمعات .

تشتمل الزاوية على مصلى و هو مستقل بموضع قريب منها في شكل مربع له محراب يتوسط الجدار الشمالي لقاعة الصلاة ، كما تتميز بقبة مركزية مبنية على قاعدة رباعية ، و خروجًا عن المألوف إستحدثت مئذنة لقاعة الصلاة و هي بارزة عنها ذات جزء سفلي مربع و بدن مربع و هي بذلك لم تخرج عن الطراز المحلي ، كما إحتوت الزاوية على غرف للتدريس عددها أربعة قاعات متساوية الطول و العرض و الإرتفاع و قد خصصت قاعتان أخريتان بمقاييس متساوية ، واحدة ذات وظيفة علمية و الثانية لإغراض علاجية ، و نظرًا للإقبال المتزايد الطلبة عبر العصور خصصت ثلاث غرف في سرداب أسفل قاعة الصلاة ، و للطهارة و الوضوء وجدت ميضأة في الجهة المقابلة للغرف الطلبة في نفس السرداب ، و غير بعيد عن الزاوية خصصت مقبرة لآل بن عمر بها أضرحة الشيوخ و كبار مؤسس الزاوية و بقية أفراد الأسرة .

و عليه فإن الطراز المعماري للزاوية لم يحدث القطيعة مع الطراز المحلي بل كان صورة معبرة صادقة للطراز المغربي و منه نستنتج أن أساليب البناء في العصور المختلفة ليست إلا نتيجة تاريخية لتطورات في العقلية و المجتمع ، تعتمد على الماضي و تنتهي عند العصر الذي تظهر فيه.

لقد شهد الطرازان المعماريان المدروسان منذ تاسيسهما ترميمات عدّة شملت معظم هياكلهما خاصة في عهد الجزائر المستقلة ، و لعل ما عرفه الجامع الكبير بندرومة في السنوات الأخيرة من تجديدات و ترميمات بأمر من السلطات العليا للبلاد فعرف في عام 2002 أشغالا كبيرة و عميقة أدت إلى غلقه إلى فترة تزيد عن نصف عام بغية إتمامي الأشغال على الوجه المحدد ، و يعود الفضل في بقاء الصفة الأثرية للجامع إلى الدائرة الأثرية بتلمسان

و مديرها بعدما أنقذه من غزو الإسمنت و المواد الدخيلة و أعاد ترميمه على الوجه الذي هو عليه اليوم مما أعطى الصبغة الفنية الأثرية على هذا المعلم .

أما زاوية سيدي محمد بن عمر في الأخرى عرفت ترميمات و تجديدات لكنها أحدثت خللا في طبيعتها الأولى ، فالزائر لها اليوم لا يستطيع الوقوف على تاريخها نظرا للتجديدات التي غزت عراقتها ، و مما استحدث فيها المئذنة و الميضأة و التسقيف ... و هو مايصعب على الباحث الدراسة الاثرية ، وذلك ما يؤاخد على القائمين عليها من هيئات وصية.

و عن الزخارف في هذين المعلمين تكاد تنعدم بإستثناء ماجاء عرضًا ، على عكس اللوحات التأسيسية التي أخدت قسط و فيرا فيهما و منه نستنتج أن من أهم السيمات العامة للعمارة الإسلامية بساطتها من حيث التسميم و منطقيتها من حيث العلاقة التي تربط ما بين عناصرها المختلفة ، سواءأ منها الإنشائية أم الزخرفية .

و إذا أنتهينا إلى جملة النتائج التي خلص إليها البحث فإننا نركزها في النقاط التالية :

- المكانة العلمية التي عرفتها ندرومة و من ورائها الجامع الكبير و الزاوية
- إشتهار المعلمين طيلة الفترة المدروسة على أساتذة و علماء و شيوخ كان لهم باع طويل في مختلف العلوم .
- توفر الزاوية على خزانة مخطوطات في مختلف علوم الدين و الدنيا.
- رفع الزاوية للواء المقاومة في وجه الإستعمار الفرنسي .
- عرف الجامع الكبير بندرومة و الزاوية طرازًا معماريًا منفردًا يندرج ضمن الطراز المغربي في شكل المسجد الذي يعتبر النموذج الأول للعمارة في الإسلام ، و في شكل المئذنة .

و لانستطيع أن نعيد للجامع الكبير بندرومة و زاوية سيدي محمد بن عمر مجدهما و نكرر إشراقتهما إلا إذا تحقق مايلي:

- تخصيص هذين المعلمين بملتقيات و أيام دراسية تعطى فيها الكلمة لذوي الإختصاص لدراسة تاريخهما و تعمق فيه .
- العمل على بعث هذين المعلمين من جديد وفق برامج و مناهج حديثة .
- التشهير بهما بصفة دورية منتظمة على غرار بقية أثار و معالم المنطقة.
- إنشاء متحف في مدينة ندرومة يعرف الزائر إليه بمخلفات الحضارات التي تعاقبت على المنطقة لأن العمارة فيها تشهد صروحها الباقية على أن مشيديها تفطنوا ــ مند عهودهم الأولى ــ إلى القوانين الهندسية و الجمالية التي كانت تدير البناء و واضح انهم إستقوا من معين يستمد موارده من الحضارات السابقة و من البيئة التي أضلتهم ، فجاءت أعمالهم أصيلة تعبر عن مستوى حياة و فكر رفيع.

الملاحق

-1- ملحق الخرائط

-2- ملحق المخططات

-3- ملحق اللوحات

-4- ملحق الوثائق

-5- فهرس البيبليوغرافيا

ملحق الخرائط

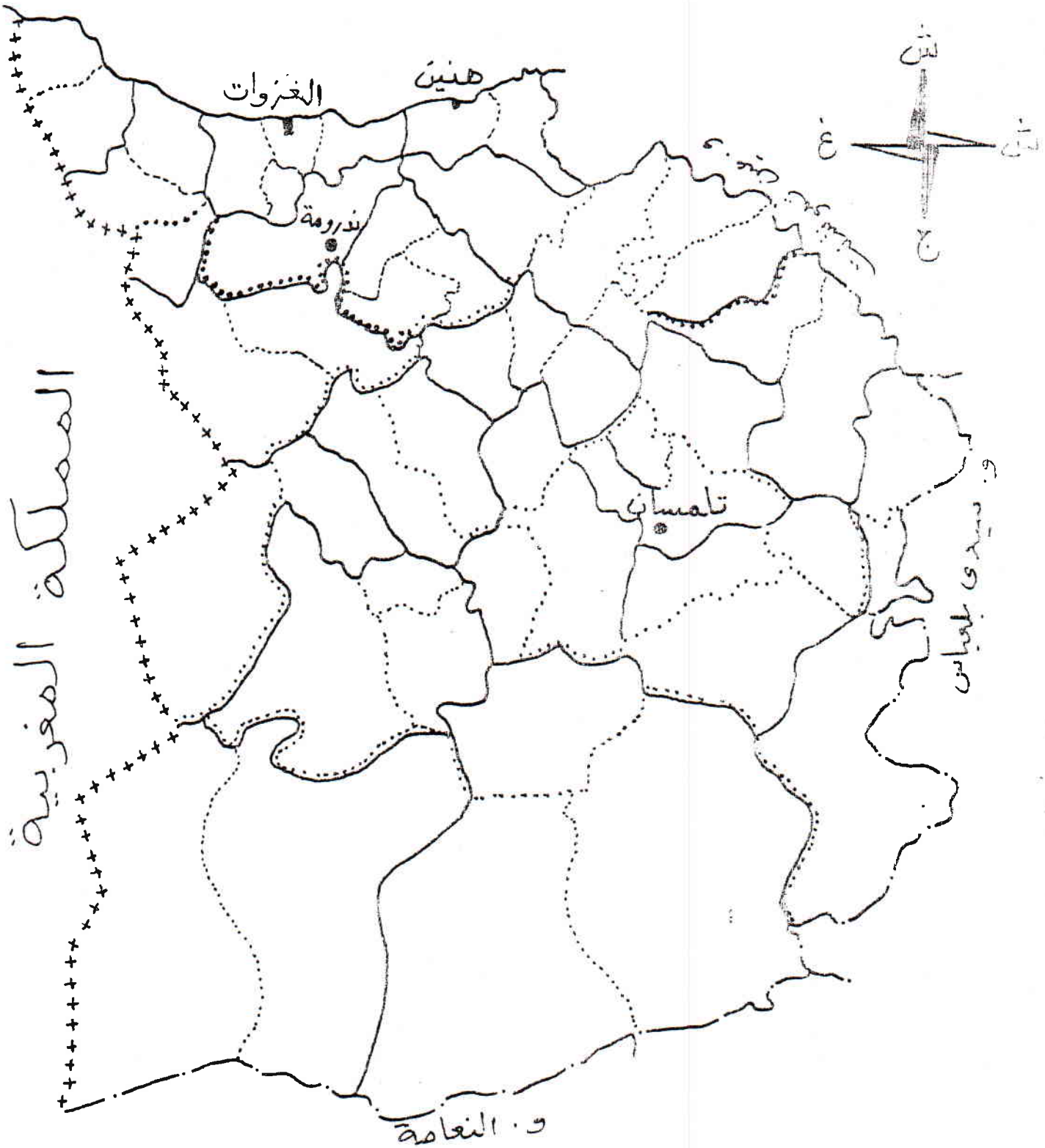

خريطة رقم (1): خريطة تبين موقع ندرومة من مينائي الغزوات هنين

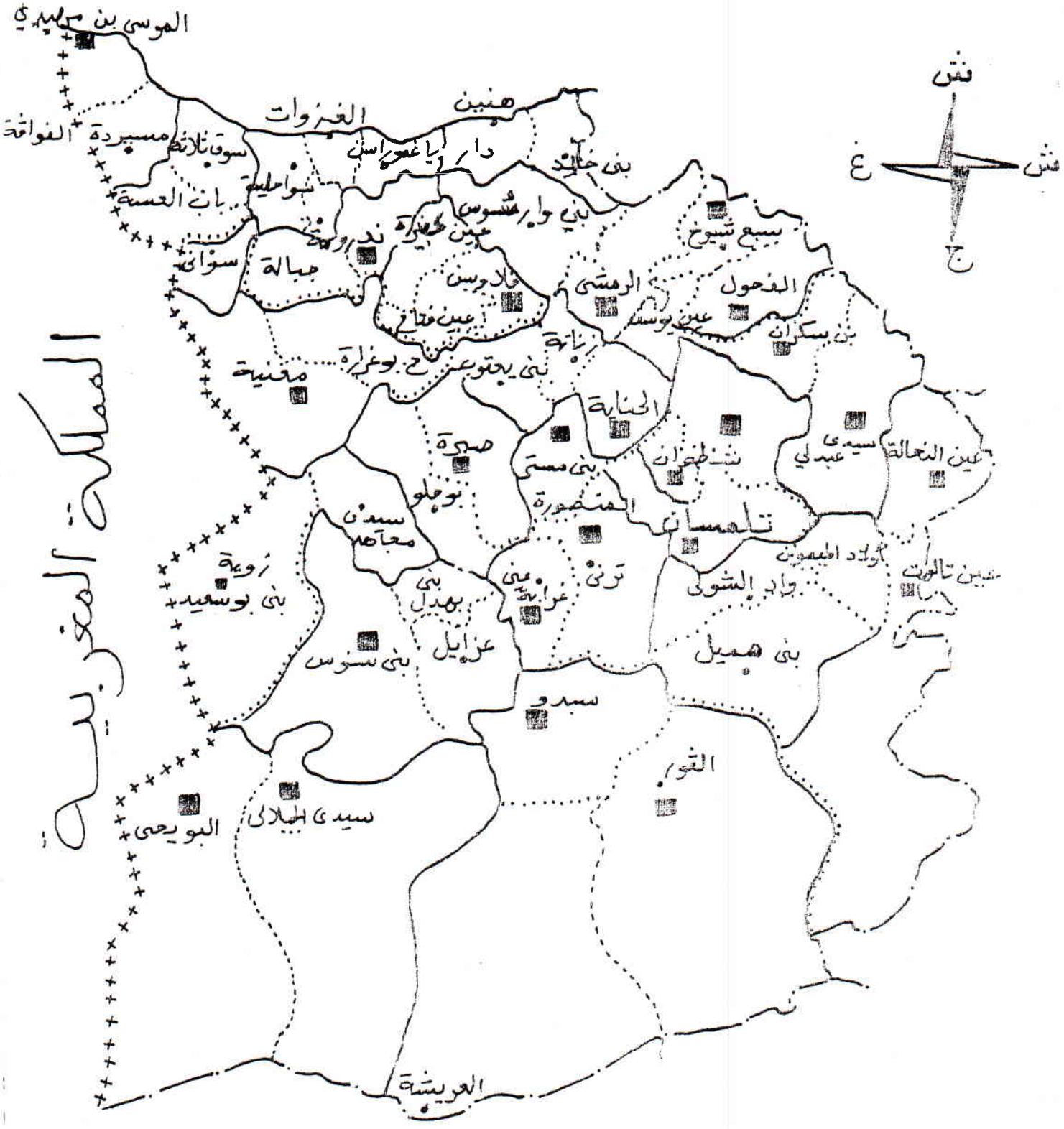

خريطة رقم (2) : خريطة إدارية لولاية تلمسان

خريطة رقم (3): تبين مدينة ندرومة وأسوارها والوادي الذي يجري في شرقيها وبساتينها

ملحق المخططات

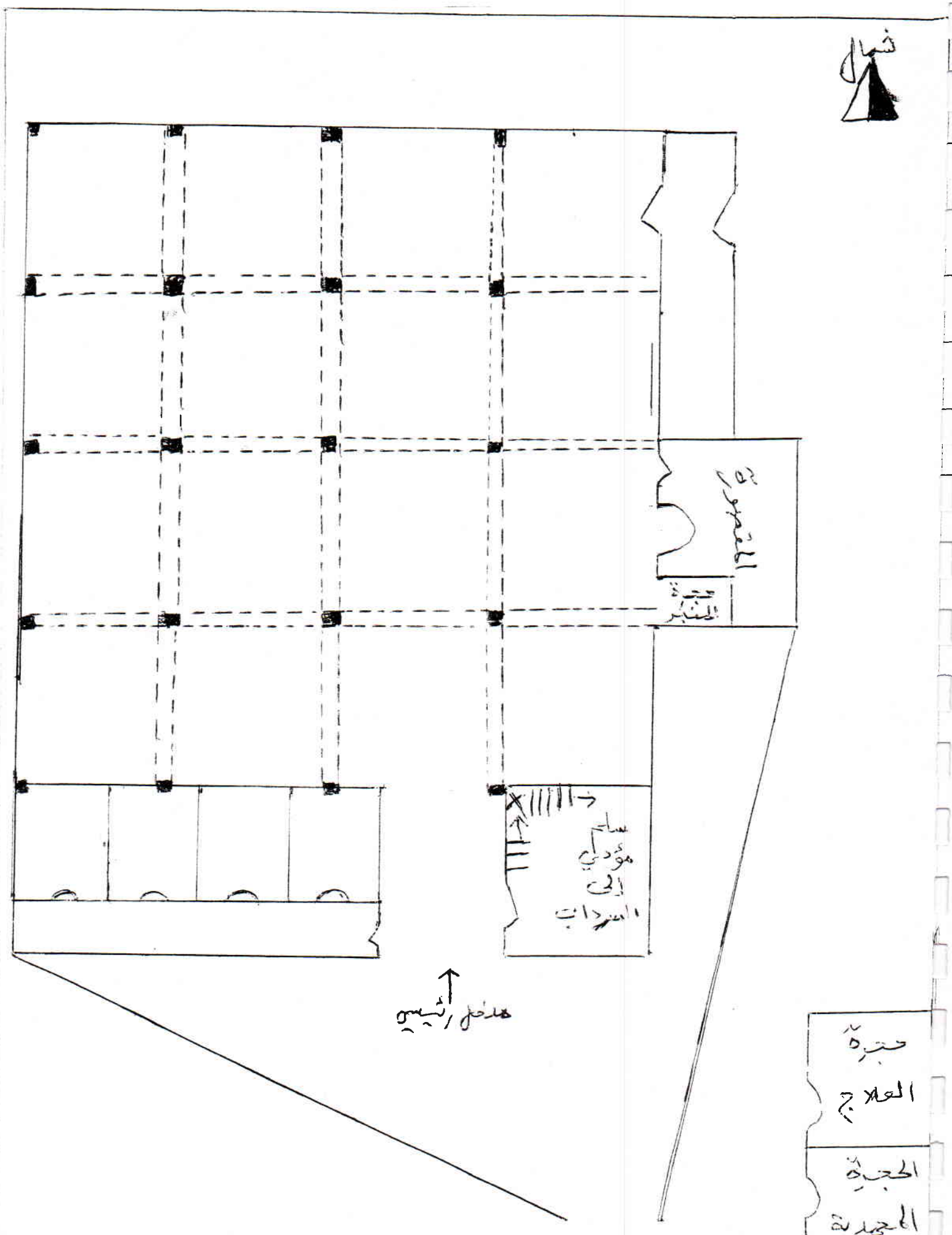

مخطط رقم (3) : منظر أفقي لزاوية سيدي محمد بن عمر

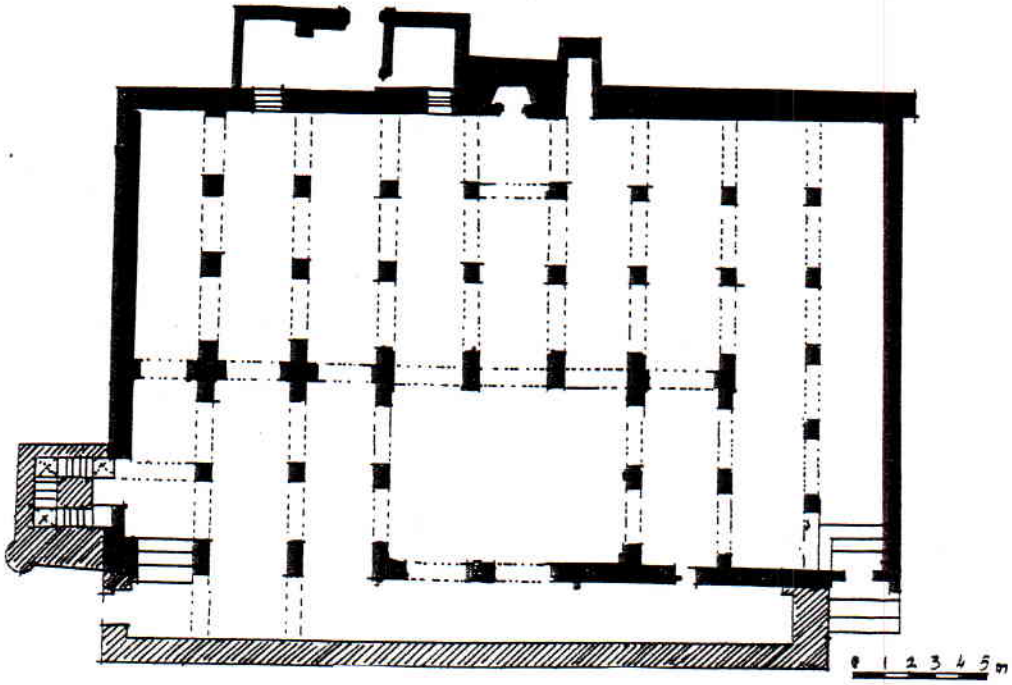

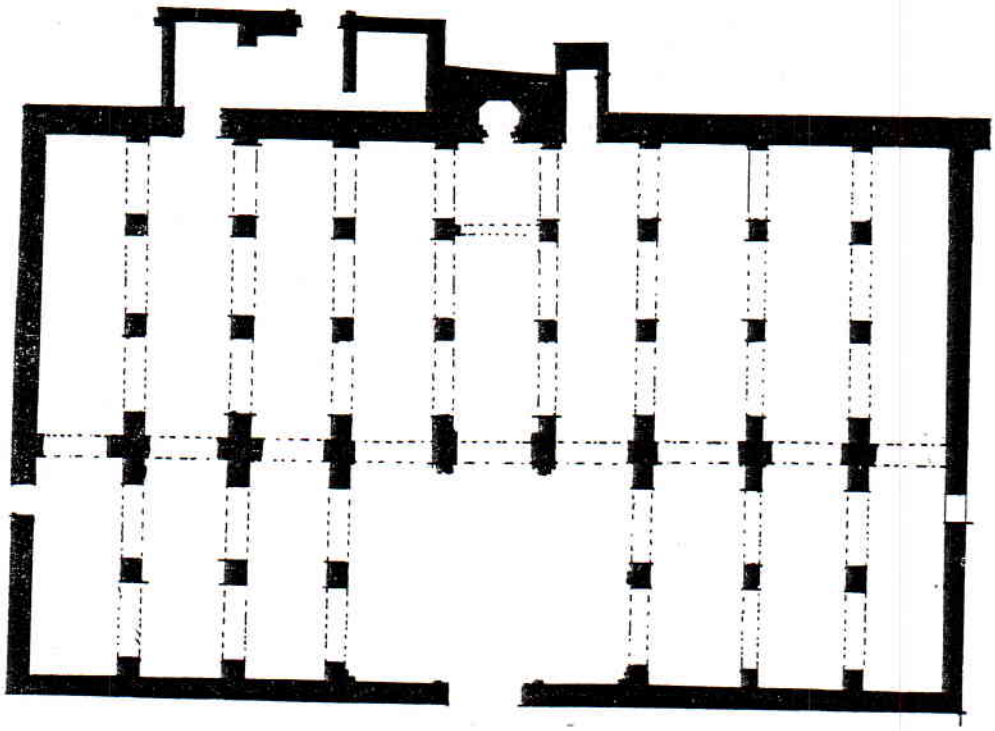

مخطط رقم (1): مخطط الجامع الكبير بندرومة

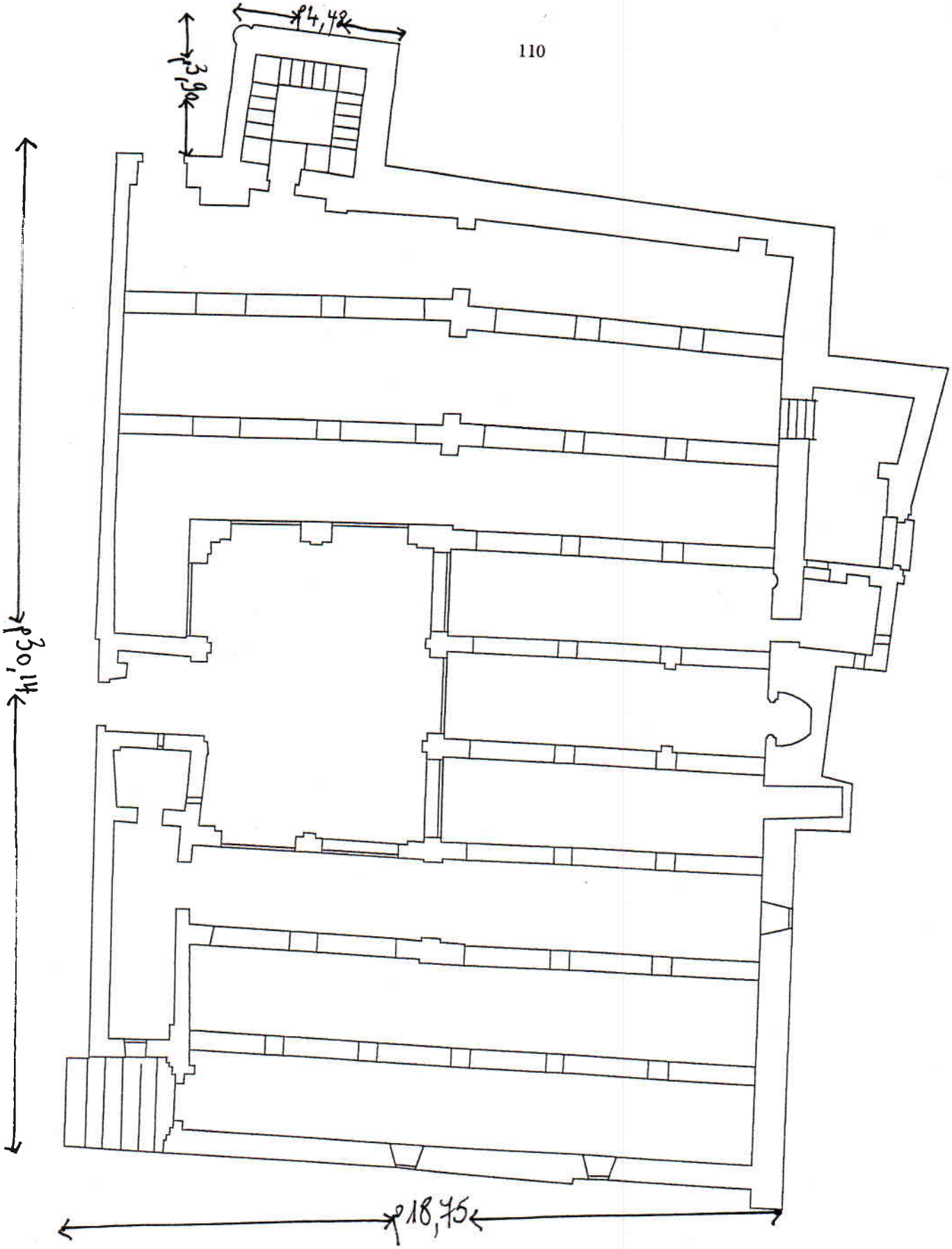

مخطط رقم (2) : منظر أفقي لجامع ندرومة الكبير

ملحق اللوحات

لوحة رقم (1): لوحة تأسيسية أصلية للجامع الكبير وهي قطعة من منبره.

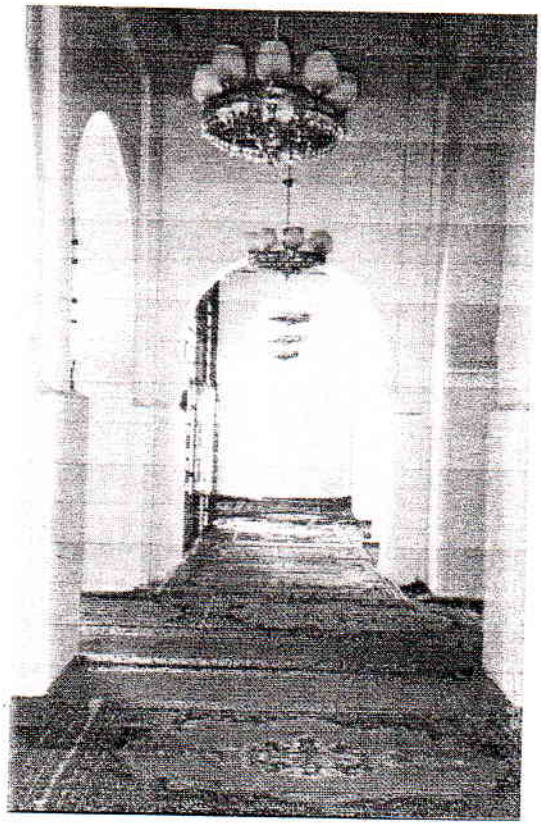

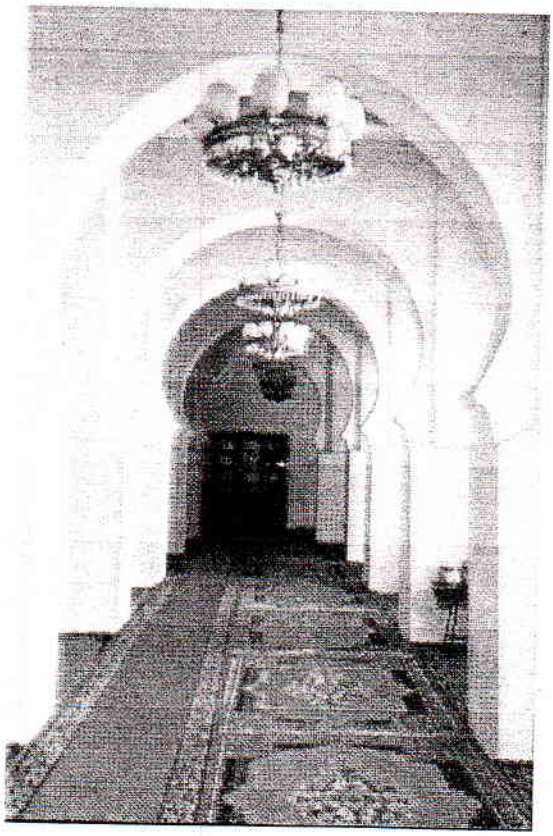

لوحة رقم (2) : صورتان تشملان عقود و أعمدة و تيجان للجامع الكبير بندرومة

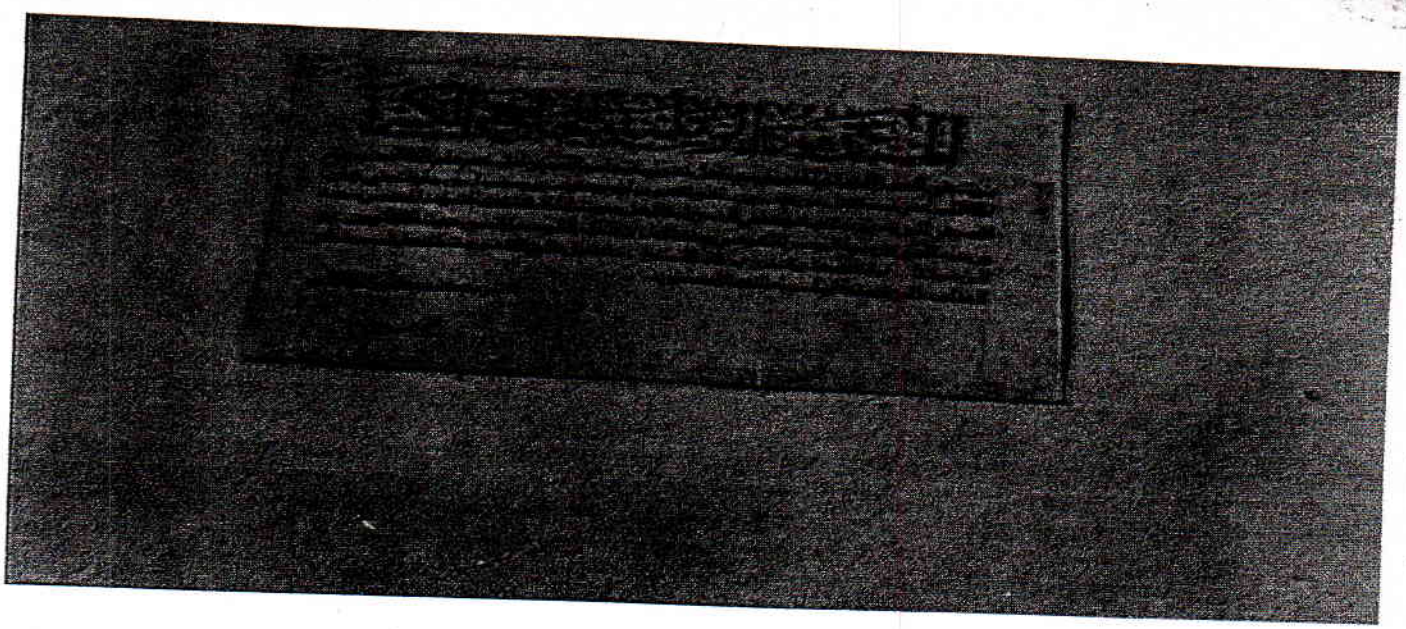

لوحة رقم (3):لوحة تأسيسية لمئذنة الجامع الكبير بندرومة

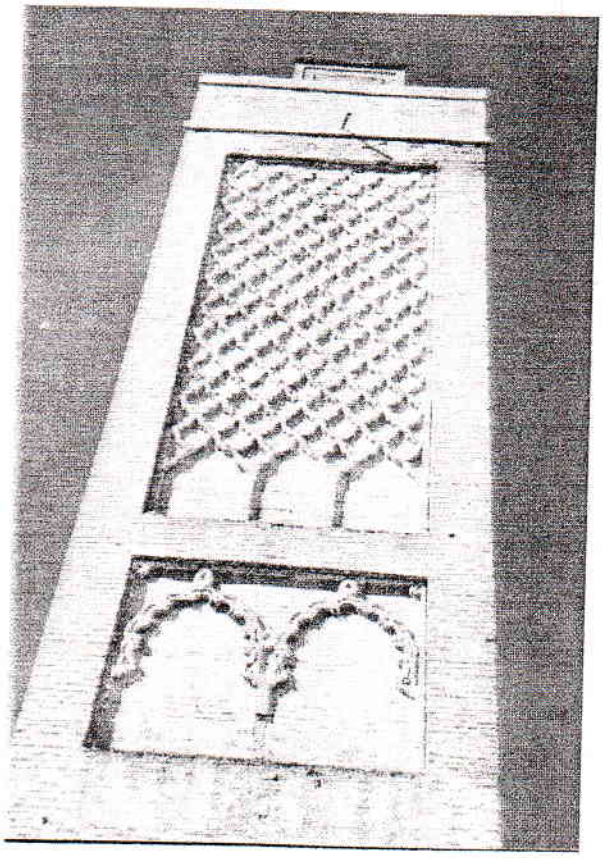

لوحة رقم (4):صورة توضح واجهة لبدن المئذنة

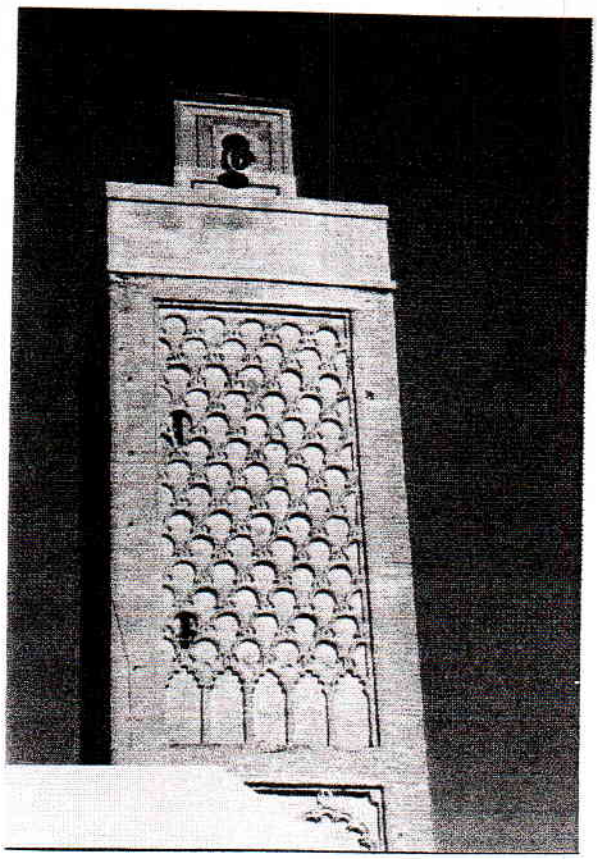

لوحة رقم (5):صورة تشمل البدن والشرفة والجوسق لمئذنة الجامع الكبير

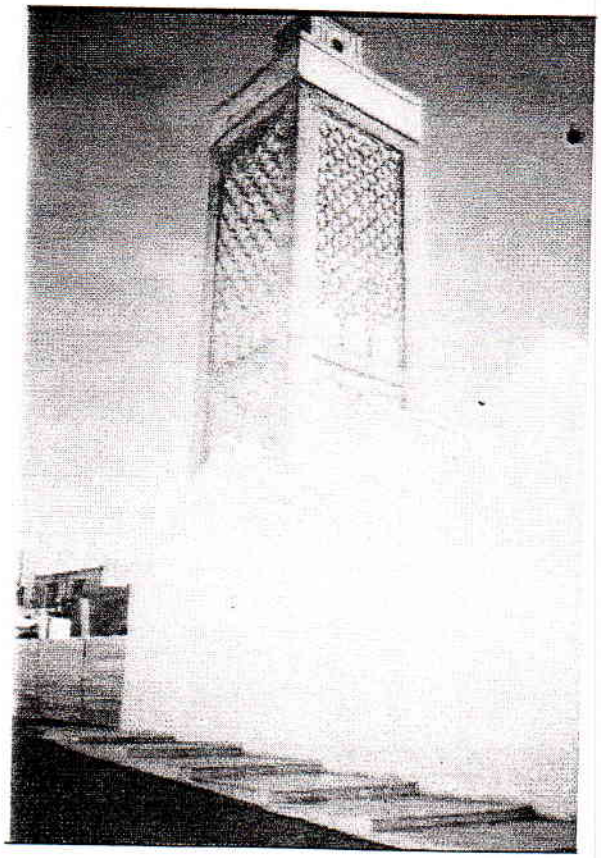

لوحة رقم (6):نظرة جانبية لمئذنة الجامع الكبير بندرومة

لوحة رقم (٧):نظرة علوية تبين صحن الجامع والتسقيف

لوحة رقم (٨):صورة تبين محراب الجامع الكبير

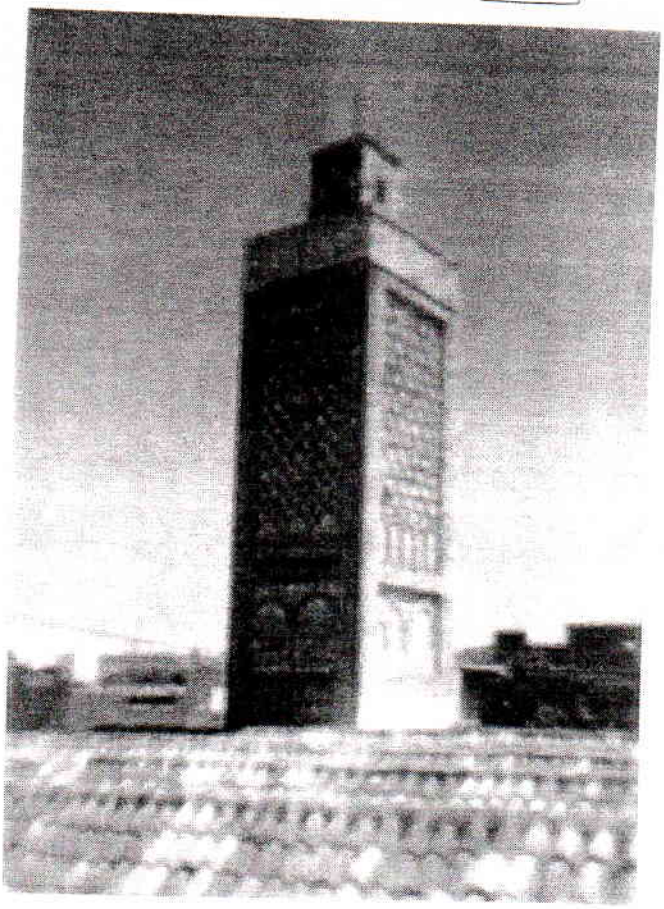

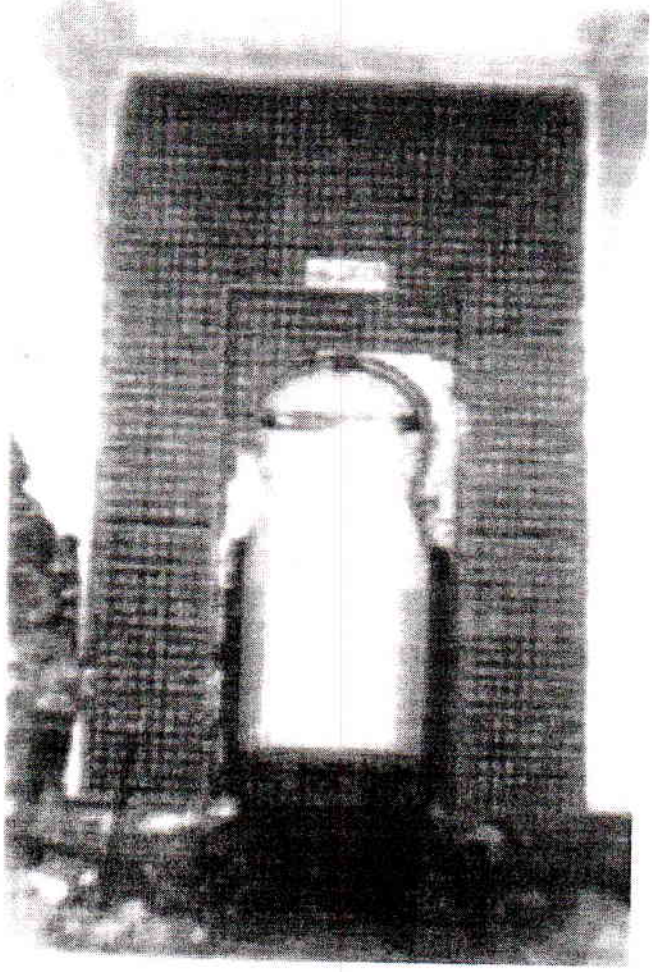

لوحة رقم (09) : تمثل الزخرفة النباتية
والهندسية في عمارة الجامع الكبير بندرومة

لوحة رقم (10) : لوحتان تأسيسيتان الأولى للجامع والثانية للمئذنة.

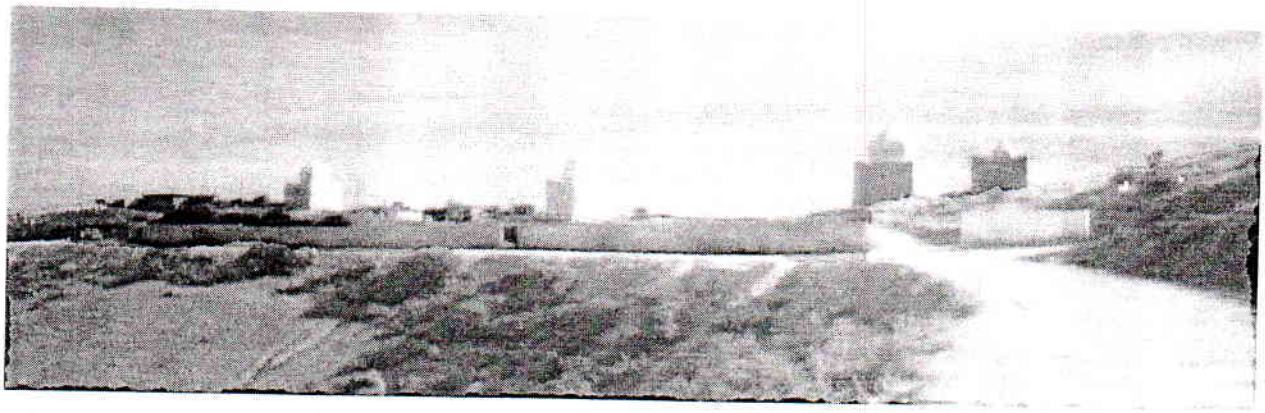

لوحة رقم (11): صورة توضح مقبرة الزاوية

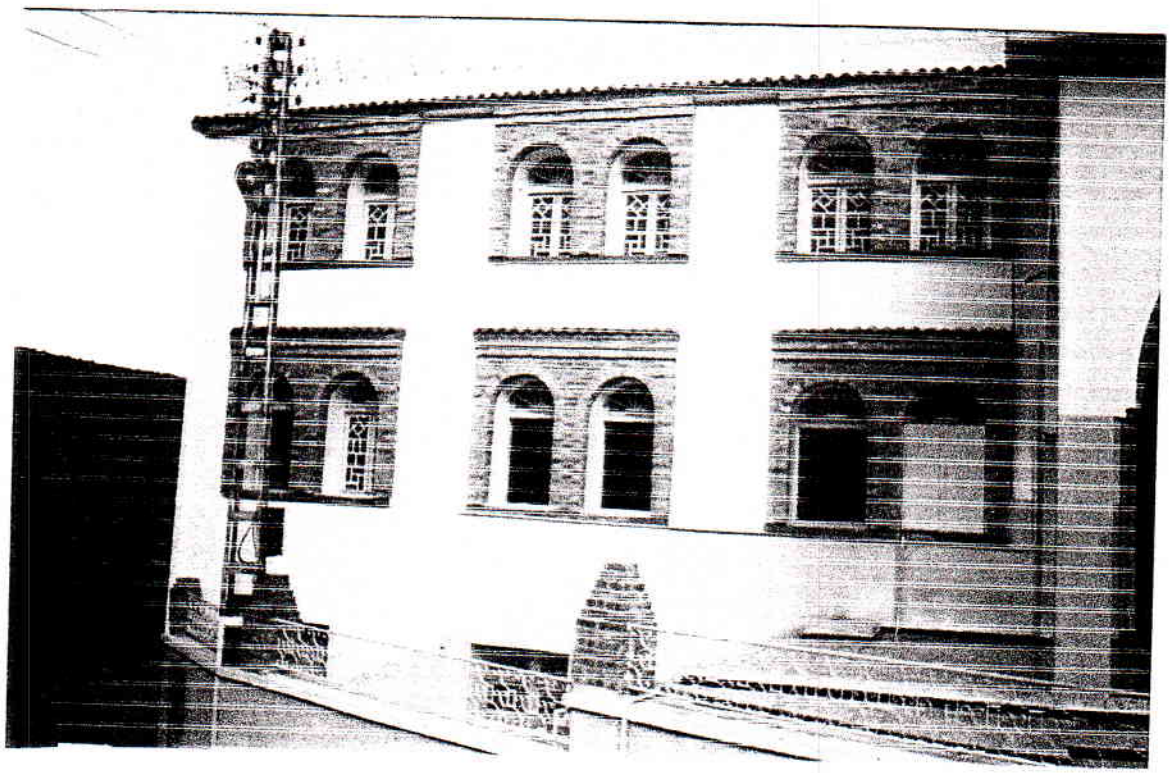

لوحة رقم (12):صورة توضح الواجهة الجنوبية للزاوية على يسار المدخل

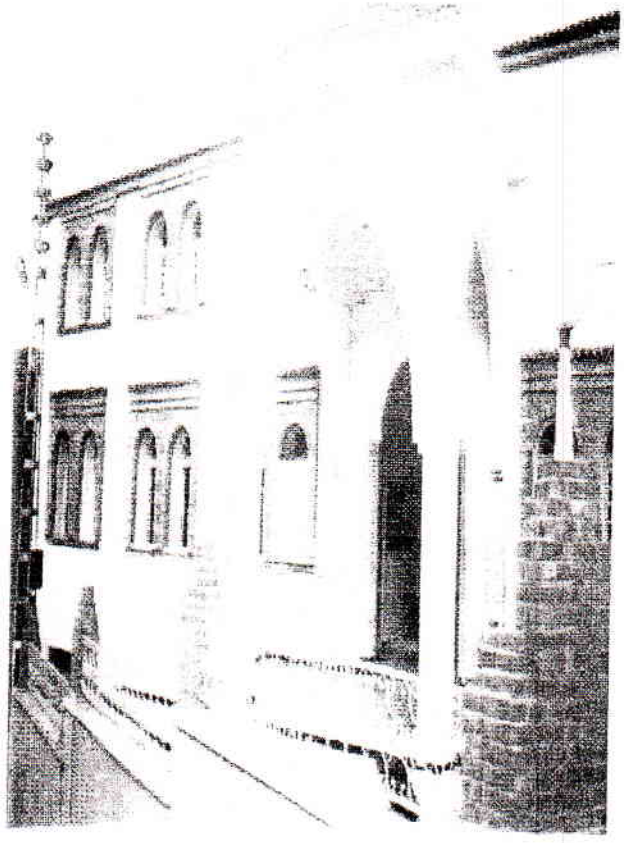

لوحة رقم (12):صورة توضح المدخل الرئيسي لقاعة الصلاة

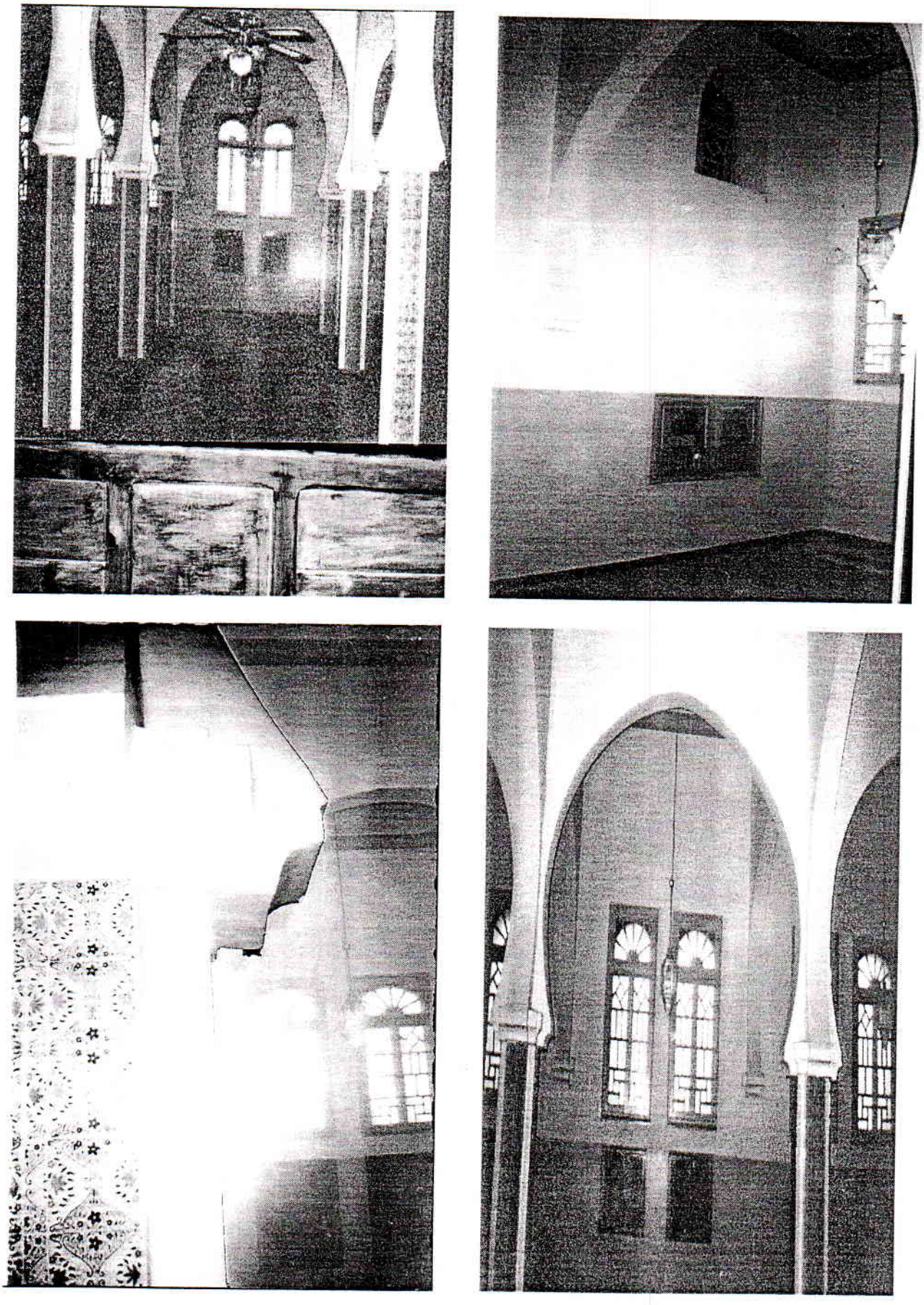

لوحة رقم (13) : صورة تشمل عقود وأعمدة وتيجان لزاوية سيدي بن عمر

لوحة رقم (14) : محراب مصلى زاوية سيدي بن عمر

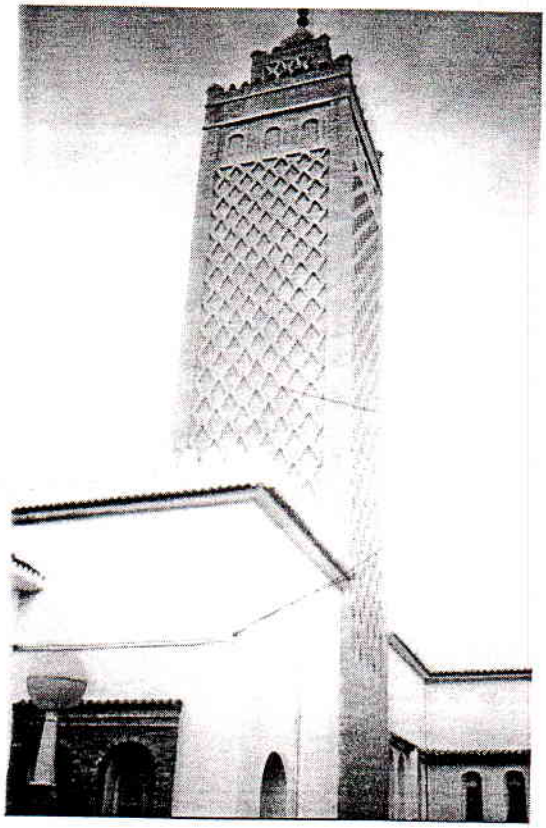

مئذنة مصلى زاوية سيدي بن عمر

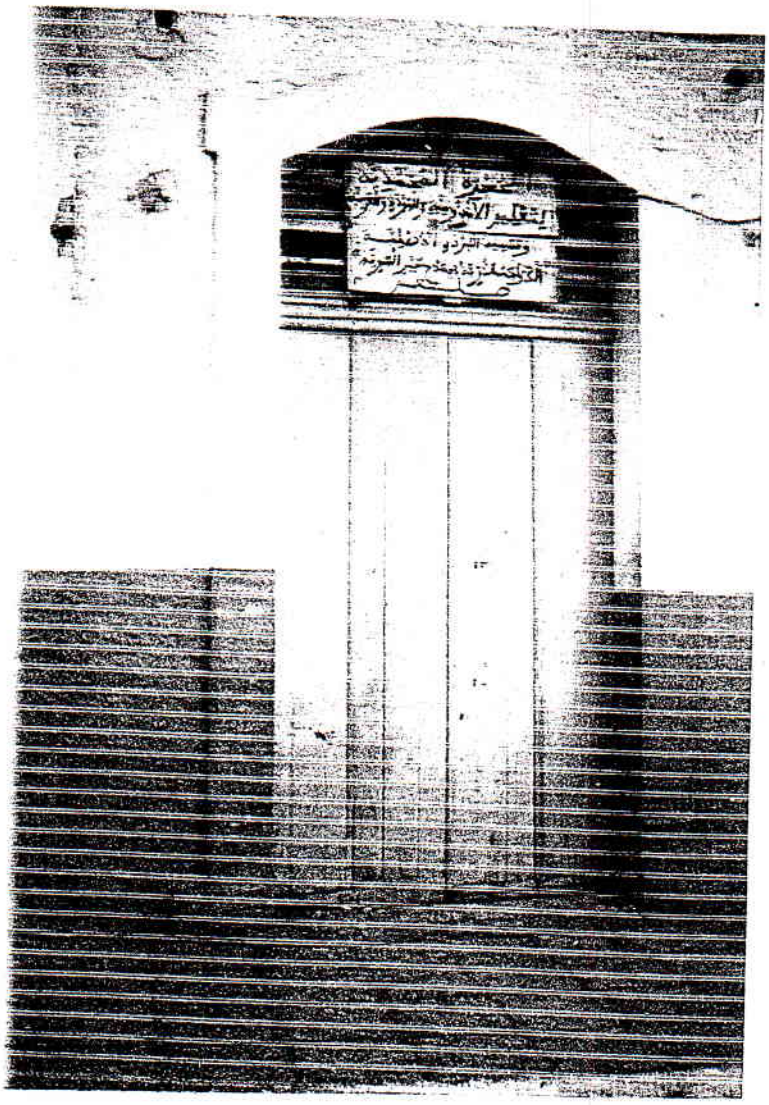

لوحة رقم (15):صورة لمدخل الحجرة المحمدية

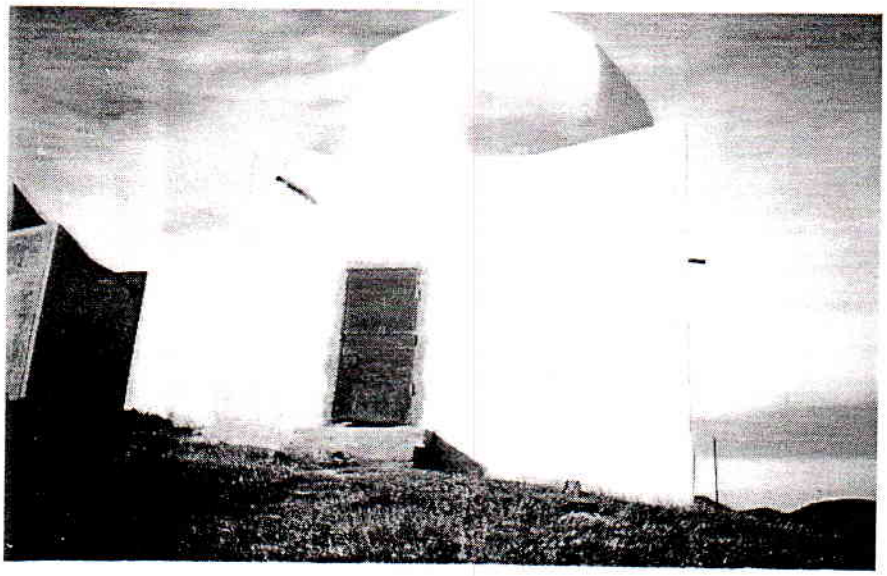

لوحة رقم (16) : ضريح سيدي محمد العالم

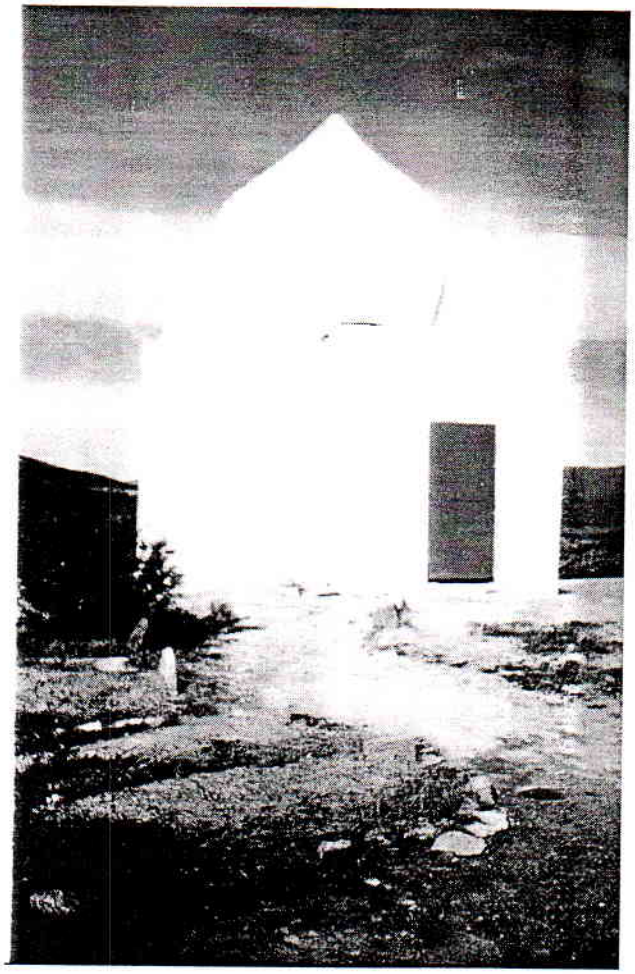

لوحة رقم (16) : ضريح سيدي محمد المنور

ملحق الوثائق

لوحة رقم (17):صورة تبين مؤسس الزاوية -سيدي محمد بن عمر-

جدول إحصاء المعالم التاريخية الأثرية لمنطقة ندرومة

﴿1﴾ الجامع الكبير المرابـــطي

- تاريخ بنائه : عهد الدولة المرابطية سنة 1081 م.
- موقعـــه : و سط المدينة (حي التربيعة – ندرومة)
- وضعيتـــه : تم ترميمه مؤخرا
- ملاحظات: _ أثار صنف وطنيا 18سبتمبر 1912 م.

_ من أقدم المساجد في الجزائر

﴿2﴾ المئذنة الزيانية للجامع الكبير المرابطي

- تاريخ بنائها : عهد الدولة الزيانية سنة 1348 م.
- موقعـــها : و سط المدينة (حي التربيعة – ندرومة).
- وضعيتـــها : حالتها في تدهور مستمر تنتظر الترميم.
- ملاحظات: _ أثار صنف وطنيا 18سبتمبر 1912 م.

_ بنيت في خمسين يوما .

_ تتطلب الترميم المستعجل.

﴿3﴾ الحمام البالي المرابطي.

- تاريخ بنائه : عهد الدولة المرابطية ما بين 1095 م و 1147 م.
- موقعـــه : و سط المدينة (حي التربيعة – و راء الجامع الكبير).
- وضعيتـــه : في طور الترميم.
- ملاحظات: _ أثار صنف وطنيا في 18سبتمبر 1912 م.

﴿4﴾ مسجد القداريـــــــن

- تاريخ بنائه : عهد الدولة المرابطية ، بني من طرف صناع القدور الفخارية الموجودين بحيه.
- موقعـــــه : حي بني زيد – ندرومة.
- وضعيتـــه : متوسطة.
- ملاحظات: _ أثار مصنف وطنيا 18 سبتمبر 1912 م.

﴿5﴾ قصر السلطان الموحدي (القصبة)

- تاريخ بنائه : عهد الدولة الموحدية سنة 1160 م، بأمر من أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي الكومي الندرومي.
- موقعـــــه : الجهة الجنوبية من المدينة القديمة – ندرومة.
- وضعيتـــه : أثار و أطلال.
- ملاحظات: _ أثار صنف وطنيا 18 سبتمبر 1912 م.
  _ محاط ببناءات فوضوية .
  _ يتطلب الترميم.

﴿6﴾ مقام سيدي محمد أبي علي و المدرسة التابعة له

- تاريخ بنائه : عهد الدولة الموحدية .
- موقعـــــه : الجهة الجنوبية الغربية من المدينة القديمة – ندرومة.
- وضعيتـــه : تم ترميمه مؤخرا.
- ملاحظات: _ أثار صنف وطنيا 18 سبتمبر 1912 م.
  _ به زخرفة ذات قيمة تاريخية معتبرة.

﴿7﴾ مسجد سيدي منديل و المدرسة التابعة له

- تاريخ بنائه : عهد الدولة الموحديـــة .
- موقعـــــه : حي الدرب – ندرومة.
- وضعيتـــه : متوسطة.
- ملاحظات: _ أثار صنف وطنيا 18 سبتمبر 1912 م.

﴿8﴾ مسجد و ضريح سيدي سياج الاندلسي

- تاريخ بنائه : عهد الدولة الموحدية .
- موقعـــــه : حي الدرب (الجهة الجنوبية من المدينة القديمة – ندرومة).
- وضعيتـــه : لا بأس بها.
- ملاحظات: _ أثار مصنف ولائيا في مارس 1988 م.

﴿9﴾ مسجد سيدي سعيدان

- تاريخ بنائه : عهد الموحدي .
- موقعـــــه : حي بني عفان – ندرومة.
- وضعيتـــه : دون المتوسط.
- ملاحظات: _ مغلوق و يتطلب الترميم .

﴿10﴾ مقام وقبة سيدي احمد البجائي الموحدي

- تاريخ بنائه : عهد الموحدي.
- موقعـــــه : مقبرة ندرومة (الجهة الشرقية).
- وضعيتـــه : دون المتوسط .
- ملاحظات: _ أثار مصنف ولائيا في 1988 م.

﴿11﴾ مسجد سيدي احمد البجائي الموحدي

- تاريخ بنائه : عهد الدولة الموحدي 1161م.
- موقعـــــه : محادي لمقام سيدي احمد البجائي.
- وضعيتـــه : أطلال .
- ملاحظات: _ هو أول مسجد موحدي بندرومة.

_ أثار مصنف ولائيا في مارس 1988 م.

﴿12﴾ مسجد و ضريح لالة الزهراء الشريفة

- تاريخ بنائها : عهد الدولة الموحدي .
- موقعـــــه : جنوب البلدة (محاذ لقصر السلطان).
- وضعيتـــها : حول الى مترل شخصي (حبوس) .

﴿13﴾ حويطة سيدي الإشبيلي الأندلسي

- تاريخ بنائها : عهد الدولة الموحدي .
- موقعـــــه : شمال ندرومة خارج أسوار المدينة القديمة .
- وضعيتـــه : حجبت ببناء جديد رغم عدة تدخلات.
- ملاحظات: _ أثار مصنف ولائيا 1988م.

﴿14﴾ أسوار المدينة القديمة .

- تاريخ بنائها : العهدين المرابطي و الموحدي .
- موقعـــــها : محيطة بالمدينة القديمة .
- وضعيتـــها : آثار مندثرة.
- ملاحظات: _ أثار مصنف وطنيا 18سبتمبر 1912 م.

﴿15﴾ أبواب المدينة القديمة الأربعة

- تاريخ بنائها : العهد الموحدي .
- موقعـــــها : الجهات الأربعة للمدينةالقديمة .
- وضعيتـــها : الباب الشرقية إندثرت.
- ملاحظات: _ **الشرق** : باب الفراقي.

_ **الغرب** : باب تـــازة.

_ **الشمال** : باب المدينة.

_ **الجنوب** : باب القصبة.

﴿16﴾ ساحة التربيعة

- تاريخ بنائها : عهد الدولة الموحدي .
- موقعـــــها : وسط المدينة القديمة .
- وضعيتـــها : طرأت عليها عدة تغييرات.
- ملاحظات: _ كثرت حولها البناءات المشوهة للطابع المعماري التقليدي.

_ رممت مؤخرا مع الجامع الكبير المرابطي

أعلام و أقطاب و شخصيات منطقة ندرومة

﴿1﴾ سيدي أحمد بن الحسن الغماري

من أهل ندرومة تردد على مدينة ندرومة و تلمسان و قضي حياته بها في القراءة و العبادة و قد حج مرتين ، و كان من جملة تلاميذه الشيخ أحمـــد زروق ، تـــوفي بتلمسان في 13 أفريل 1470م

﴿2﴾ محمد بن سحنون الكومي الندرومي

(1184م – 1237م) طبيب عام باللغة العربية و الأدب ، كان من أطباء النـــاصر المؤمن محمد بن يعقوب و له الكتب (إختصار كتاب المستصفى) للغزالي ،...

﴿3﴾ أبو تاشفين العبد الوادي الزياني

عبد الرحمن الثاني بن أبي حمو موسى الثاني ، ثاني ملوك الدولة الزيانية في دورها الثاني ، ولد بندرومة من أم ندرومية ، توفي سنة 1393م.

﴿4﴾ يوسف بن احمد بن محمد الندرومي

الملقب بجمال الذين أبي المحاسن ، فقيه قرأ عليه في مصر له كتاب مشهور عنوانـه (قبس الأنوار و جامع الأسرار) و آخر (الدار المطلوب في سر الغـــالب و المغلـــوب) توفي 1404م.

﴿5﴾ أحمد بن عبد الرحمن عبد الله شهاب الدين الندرومي

معروف بابن الأستاذ الندرومي عالم بالمنطق من كبار المقرئين ، فقيه مـــالكي ، أخد عن الإمام بن مرزوق الحفيد ، له كتاب (كناية العمل) توفي بعد 1427م.

﴿6﴾ الشيخ قدور بن عاشور الزرهوني

(1850م — 1938م) شاعر زجلي من أقطاب ندرومة نال ما فيه الكفاية في النظم و الشعر ، له ما يفوق 3000 قصيدة شعرية غرق في التصوف حتى ادرك الغوثانية العظمى له ديوان مطبوع عنوانه : (كنوز الأنهار و البحور في ديوان الستر و النور) كما طبع له مؤخرا ديوان جمع قصائده و حققها الأستاذ محمد بن عمر الزرهوني.

﴿7﴾ الشيخ سي دريس بن رحال الندرومي

(1890م — 1955) ولد بمدينة ندرومة ، حفظ القرآن و عمره 12 سنة ، عرف بازدواجية المعارف العربية و الفرنسية ، ولع بالموسيقى وكان من الفنانين الموهوبين، تمكن من كل الآلات الموسيقية التقليدية ، لا سيما الوترية منها ، كما كان متقنا للسولفاج ، ... تتلمذ على يده الكثير من الموسيقيين و المطربين من المنطقة و من بينهم الحاج محمد غفور.

﴿8﴾ الدكتور محمد النقاش

من مواليد ندرومة و أول طبيب جزائري نجح بأول مذكرة ممتازة لنيل شهادة الدكتوراه في الطب باللغة الفرنسية بباريس سنة 1880م .

﴿9﴾ الشيخ محمد بن رحال

(1858م — 1928م)

من عائلة عريقة المجد و السؤدد بندرومة ، كان في طليعة القوم الذين خدموا القضية الجزائرية بإخلاص ، حفظ القرآن و سنة لا يتجاوز العشرة ، أول جزائري تحصل على شهادة البكالوريا وذلك سنة 1874م ، له محاضرة قيمة و مشهورة ألقاها في اجتماع الجمعية الرشيدية بالعاصمة سنة 1907م تحت عنوان (التوفيق بين الاسلام و التقدم) و عدة كتب أخرى ...

﴿10﴾ الشيخ محمد الزرهوني

(1892م – 1974م)

من فقهاء مدينة ندرومة و قطب من أقطابها حفظ القرآن في من مبكرة كـــان من المفتين الكبار ، و من أعوان القاضي نسخت الكثير من العقود على يده.

﴿11﴾ الشيخ محمد الرمعون

ولد سنة 1833م من أشهر شعراء الملحون في المنطقة ...

﴿12﴾ محمد بن عبد الله بن عبد النور الصنهاجي الندرومي

قاض من كبار المالكية نسبه إلى صنهاجة تولى القضاء بفاس كان من فقـــهاء المجلس في عهد السلطان المريني أبو الحسن توفي سنة 1348م ...

﴿13﴾ المقرئ السيد طالب أحمد بن رابح الندرومي

(1906م-1968م)

فقيه تيجاني الطريقة ولد بجبالة دائرة ندرومة ، حفظ القـــرآن حفـــظ متقنـــا بالمسجد الذي بناه أبوه في جبالة ، ثم إنتقل إلى قرية " زايلو" بأحواز ندرومة و هنـــلك درس الفقه و اللغة على يد الفقيه العلامة السيد المصطفى بن رابح له مجموعـــة مـــن التقاييد بلغت نحو 25 تقييدا ، أهمها " شمسية الطلبة و مجموع النصوص القرآنيـــة في الرواية الورشية)

﴿14﴾ الشيخ سيدي أحمد البجائي

ضريحه بندرومة عاشر الأمير عبد المؤمن بن علي عهد الدولة الموحدية ، كـــان أمين سر الأمير.

﴿15﴾ عبد المؤمن بن علي الكومي الندرومي

ولد بقرية تاجرة غرب مدينة ندرومة في آخر سنة 478 هـ نسبة لقبيلة الكومية و الكومية من بنو فاتن : و ندرومة تنتمي إليها ، إذ يعتبر المؤسس الحقيقي و القائد السياسي للدولة الموحدية .

﴿10﴾ الشيخ سيدي محمد ابن عمر

من كبار مشاييخ الصوفية تولى مشيخة زاوية سيدي بن عمر التي ظهرت في القرن الثالث هجري و توفي حوالي عام 1101هـ/ 1690 ، و من مناقب الزاوية هو شفاء المصابين بداء " عرق النسا " وداء الكلب وداء السم و الولادة و صلب "العمارة" أي الذرية .

لقد كان لشيخ هذه الزاوية دورا كبيرا في تحفيظ القرآن الكريم و تدريس العلوم الفقهية للعديد من التلاميذ نذكر منهم الشيخ العباس بن الحسن و أخيه الشيخ مرزوق و غيرهم

قائمة البيبليوغرافيا

- القرآن الكريم براوية ورش عن نافع

I- المصادر :

ـ إبن أبي زرع ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، نشر ثور ، أبسلا ، 1848 م.

ـ إبن الأثير ، الكامل في التاريخ القاهرة ، 1803 م .

ـ بن خلدون (عبد الرحمان) ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ،ج7، بيروت 1959 م .

ـ بن خلدون (يحي) ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بنى عبد الواد ، تحقيق الدكتور عبد الحميد حاجيات ، منشورات المكتبة الوطنية ، الجزائر ، 1980.

ـ ابن الخطيب (لسان الدين) ، تاريخ المغرب في العصر الوسيط ، و هو القسم الثالث من كتاب أعمال الإعلام ، حققه و علق عليه مختار العبادي و محمد إبراهيم الكثافي ، دار الكتب ، الدار البيضاء (المغرب) 1964.

ـ ابن عذارى المركشي (محمد) ، البيان المغرب في اخبار الأندلس و المغرب ، تحقيق ج ، س ، كولات ول ، فروفنسال ، بيروت

ـ ابن مريم ، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، د.م.و، الجزائر ، 1986.

ـابن مرزوق التلمساني (محمد) ، المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن ، تحقيق د/ ماريا خيسوس بيغيرا – الجزائر 1401هـ.

ـ البكري (أبوعبد الله بن عبد العزيز) ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، (وهو جزء من المسالك والممالك) ، نشره سالان بنصه العربي والفرنسي librairie Maisonneuve , Paris , 1965.

ـ التنسي (محمد عبد الله) ، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان (مقتطف من نظم الدر و العقيان في بيان تاريخ بني زيان) تحقيق محمود بوعياد م.ر.ك الجزائر 1985 .

ـ الزركشي ، تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية ، تحقيق محمد ماضور ، تونس 1966 م .

ـ السلاوي ، الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق وتعليق الأستاذان : جعفر و محمد الناصري ، ج1 ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1954 .

ـ الوزان (حسن)، وصف إفريقية ، ترجمه عن الفرنسية : محمد حجي و محمد الأخضر ، ج2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت – لبنان – 1983.

II- الـــمـــراجـــع :

1- المراجع باللغة العربية :

1-1 الكتب :

ـ إبراهيم عمار (قدور) ، زاوية سيدي محمد بن عمر تاريخها و نشأتها ، ج1 ، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية ، وهران 1997م .

ـ ابن قربة (صالح) ، المدنة الإسلامية ، ط1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1986م .

ـ أحمد محمود (حسن) ، حضارة العرب في المغرب و الأندلس و صقيلية ، ط1 ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، مصر ، 1964 .

ـ الألفي (أبو صالح) ، الفن الإسلامي أصوله، فلسفته و مدارسه،ط2، دار المعارف القاهرة ، جمهورية مصر العربية ، 1980 م .

ـ الفرد (بل) ، الفرق الإسلامية في شمال الإقريقي من الفتح العربي حتى اليـــوم، ط1 ترجمة عبد الرحمان بدوي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1981م.

ـ الجيلالي (عبد الرحمان) ، تاريخ الجزائر العام ، الجزائر ، 1975 .

ـ الرفاعي (انور) ، تاريخ الفن عند العرب و المسلمين ، ط2 ، دار الفكر ، 1977.

ـ الطمار (محمد بن عمرو) ، تلمسان عبر العصور ، المؤسسة الوطنيـــة للكتـــاب ، الجزائر ، 1984

ـ الحريري (محمد عيسى) ، تاريخ المغرب الإسلامي و الأندلس في العصر المريني، دار القلم للنشر و التوزيع ، الكويت ، 1987 .

ـ الشامي (صالح احمد) ، الفن الإسلامي ، إلتزام و إبتداع ، ط1 ، دار القلم ، دمشق، 1999

ـ المدني (أحمد توفيق) ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا ، ش.و.ن.ت ، الجزائر ، د.ت .

ـ النجار (عبد الحميد) ، المهدي بن ثومرت ، حياته و آراءه، ثورته الفكرية و الاجتماعية و آثاره بالمغرب، دار الغرب الاسلامي ،بيروت ، لبنان 1983.

ـ السيد عبد العزيز (سالم) ، المغرب الكبير ، ج2 ، العصر الإسلامي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان، 1981 .

ـ بـــهنسي (عفيف)،الفن العربي الإسلامي في بداية تكوينه ، دمشق ، سوريا ،1983

ـ بورويبة (رشيد) ، تاريخ الجزائر السياسي في عهد الفاطمين ، تعريب د/ محمد بلقراد في الجزائر في التاريخ ، ج3 ، العصر الإسلامي ، م.و.ك. 1984.

ـ بورويبة (رشيد) ، الدولة الحمادية ، تاريخها و حضارتها ، د.م.ج. الجزائر 1977 .

ـ بورويبة (رشيد) ، الكتابات الأثرية ، في المساجد الجزائرية ، ترجمة إبراهيم شبوح ، ش.و.ن.ت. ، 1979 .

ـ بوعزيز (يحي) ، الموجز في تاريخ الجزائر ، ج2 ، الجزائر الحديثة ، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1999.

ـ ثروت (عكاشة) ، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية ، ط1 ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 1981.

ـ جوليان (ش.أ.)، تاريخ إقريقيا الشمالية ، ج2 العصر الإسلامي تعريب محمد مزالي و البشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1978 .

ـحاجيات (عبد الحميد) ، إحياء الدولة الزيانية، في الجزائر في التاريخ ،العصر الاسلامي ، ج3 ، م.و.ك ، 1984.

ـحاجيات (عبد الحميد)،أبو حمو موسى الزياني ، شركة الوطنية للنشر و توزيع ، الجزائر ، 1983 .

ـ حاجيات (عبد الحميد) ، خطر النصارى و إنهيار الدولة الزيانية ، في الجزائر في التاريخ ،العصر الاسلامي ، ج3 ، م.و.ك ، 1984.

ـ حسن (ابراهيم) ، تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الإجتماعي، ط2 ، القاهرة، مصر ، 1953 .

ـ دهينة (عطاء الله) ، الغزو المريني لتلمسان – في – الجزائر في التاريخ، العصر الاسلامي ،ج3 ، م.و.ك ، 1984.

ـ دردار (فتحي) ، الأمير عبد القادر الجزائري بطل المقاومة الجزائرية (1832–1847) ، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر 2001، ص55.

ـ زكي (محمد حسن)، فنون الإسلام ، درا الرائد العربية ، 1981 .

ـ زكي (محمد حسن)، أطلس الفنون الزخرفية و التصاوير الإسلامية ، دار الرائد العربية 1981 .

ـ سعد زغلول (عبد الحميد) ، تاريخ المغرب العربي ، ج2

ـ شاوش بن رمضان (محمد) ، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان ، د.م.ج ، الجزائر ، 1995 .

ـ شافعي (فريد) ، الفنون الزخرفية في المغرب و الأندلس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان .

ـ علي علام (عبد الله) ، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، 1971 .

ـ عزوق (عبد الكريم) ، القباب و المآذن في العمارة الإسلامية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1996 .

ـ عبد القادر (نور الدين) ، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر منذ أقد عصورها إلى إنتهاء العهد التركي ، نشر كلية الأداب ، الجزائر ، 1965 .

ـ كربخال (مارمول) ، إفريقيا ، تلرجمة عن الفرنسية محمد حجي و أخرون ، دار نشر المعرفة ، الرباط ، 1989 .

ـ لعرج (عبد العزيز محمود) ، الزليج في العمارة الاسلامية بالجزائر في العصر التركي ط1 ، م.و.ك ، الجزائر ، 1990.

ـ دهينة (عطاء الله) ، الغزو المريني لتلمسان – في – الجزائر في التـــاريخ، العصـــر الاسلامي ،ج3 ، م.و.ك ، 1984.

ـ زكي (محمد حسن)، فنون الإسلام ، درا الرائد العربية ، 1981 .

ـ زكي (محمد حسن)، أطلس الفنون الزخرفية و التصاوير الإسلامية ، دار الرائـــد العربية 1981 .

ـ سعد زغلول (عبد الحميد) ، تاريخ المغرب العربي ، ج2

ـ شاوش بن رمضان (محمد) ، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان ، د.م.ج ، الجزائر ، 1995 .

ـ شافعي (فريد) ، الفنون الزخرفية في المغرب و الأندلس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان .

ـ علي علام (عبد الله) ، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، 1971 .

ـ عزوق (عبد الكريم) ، القباب و المآذن في العمارة الإسلامية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1996 .

ـ عبد القادر (نور الدين) ، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر منذ أقد عصورها إلى إنتهاء العهد التركي ، نشر كلية الأداب ، الجزائر ، 1965 .

ـ كربخال (مارمول) ، إفريقيا ، تلرجمة عن الفرنسية محمد حجي و أخرون ، دار نشر المعرفة ، الرباط ، 1989 .

ـ لعرج (عبد العزيز محمود) ، الزليج في العمارة الاسلامية بالجزائر في العصر التركي ط1 ، م.و.ك ، الجزائر ، 1990.

ـ مرزوق (محمد عبد العزيز) ، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب و الأندلس، دار الثقافة ، بيروت لبنان ، د.ت .

ـ مورينو (جوميت) ، الفن الاسلامي في اسبانيا ، ترجمة عبد العزيز سالم ، الهيئة المصرية للترجمة و التأليف ، القاهرة ، مصر ، (ب.ت) .

2-1 الأطروحات ، الرسائل ، الدوريات و الملتقيات

2-1-1- الأطروحات :

_ بسنوسي (سيدي محمد الغوثي)،الأصول العميقة لمعايير التناسق في العمارة الإسلامية ، أطروحة جامعية لنيل شهادة دكتوراه دولة في الثقافة الشعبية، قسم الثقافة الشعبية ، جامعة تلمسان ، 2000 .

_ لعرج (عبد العزيز محمود) ، المباني الميزانية في إمارة تلمسان الزيانية ، أطروحة جامعية لنيل دكتوراه دولة قسم الأثار، جامعة الجزائر ، 1999 .

2-1-2- الرسائل :

_ الواليش (فتيحة) ، الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائر من خلال القرن الثامن عشر ، رسالة ماجيستير في تاريخ الحديث ، قسم تاريخ ، جامعة الجزائر 1991.

_ بوطارن (مبارك) ، العمائر الدينية في المغرب الأوسط، من القرن السادس حتى نهاية القرن الثامن، رسالة ماجيستير في التاريخ ، قسم التاريخ جامعة الإسكندرية مصر ، 1991 .

_ لقريز (العربي) ، مدارس السلطان أبي الحسن علي، مدرسة سيدي أبي مدين نموذجا دراسة أثرية فنية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في الثقافة الشعبية، قسم الثقافة الشعبية ، جامعة تلمسان ،2001 .

_ طالب (عبد الرحمن) ، الطرق التربوية المتبعة في الكتاتيب القرآنية في ندرومة بحث لنيل دبلوم الدراسات المعمقة ، معهد الآداب ، جامعة وهران ، 1977

2-1-3- الدوريات :

_ مجلة التاريخ ، يصدرها معهد التاريخ جامعة الجزائر ، العدد 22 ، عام 1986م .

_ مجلة الأصالة ، تصدرها وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف ، الجزائر ، العدد 26 ، السنة الرابعة ، جويلية 1975 .

_ مجلة العربي ، تصدرها دولة الكويت ، العدد 507 ، فبراير 2001 .

_ مجلة الوعي الإسلامي ، تصدر في دولة الكويت ، العدد 122 ، فبراير 1975.

_ مجلة سيرتا ، يصدرها قسم التاريخ ، كلية الأداب و العلوم الإنسـانية ،جامعـة فسنطينة، الجزائر ، بدون عدد ، 1980.

_ Revue d'histoire et civilisation du maghreb, N 5, juillet 1968, C.N.R.H, Paris

2-1-4 – الملتقيـات

_ حملاوي (علي) ، العناصر الزخرفية بمدينة سدراتة (ورجلان)- في – الملتقى الوطني الثاني للبحث الأثري و الدراسات التاريخية ، ادرار ، من 05/29إلى 1994/06/02.

_ لعرج (عبد العزيز محمود) ،جامع ندرومة المرابطي ، دراسة معمارية ، - في – الملتقى الوطني الأول حول تاريخ ندرومة 1978 .

2- المراجع باللغة الفرنسية :

- Bargés J.J.L Tlemcen ancienne capitale du royaume de ce nom , du part Paris 1859.
- Bargés J.J.L Complément historique de béni Zeiyan, rois de Tlemcen Leroux Paris, 1887.
- Basset.H le développement historique de l'art maghrébin l'Algérie par ses monuments , T H documentation .
- Basset . R, Nédroma et les Traras , Publication des l'ecole des lettres Leroux Paris , 1901 .
- Benachenhou ,A, La Dynastie Almoravide et son Art , Alger 1974
- Bel.A , les Almoravides et Almohades . Encyclopédie de l'Islam T.I .
- Bel. A, les Benou Ghanya derniers représentants de l'empire Almoravides Publication de l'ecole des lettres d'alger , Paris , 1903.
- Bel. A, Nédroma,Extrait du Bullettin de la SGAA.N ,Alger , 1935.
- Benyoucef.B, – Introduction à l'histoire de l'architecture islamique O.P.U, Alger (S.D) .
- Berque.A .L"algerie terre d'art et d'histoire, lger Heihtz, 1937.
- Bourouiba. R L'art religieux musulman en Algerie. SNED, Alger 1973.
- Bourouiba. R L'Architecture Militaire de L'Algerie Medievale , O.P.U Alger , 1983.
- Bourouiba. R Apport de l'Algerie à L'Architecture Religieuse , Arabo-Islamique, O.P.U, Alger , 1980.
- Boutemene. Y, la Zaouia des Ouled Sidi Ben amar, prés de Nedroma,edition la Koutoubia, Tlemcen, 1950.
- Canal , Monographie de l'Arrondissement de Tlemcen , B.S.G.A de la Provence d'Oran , 1888.
- Dhina Atallah.Les états de l'occident musulman aux XII, WIV et XV siécles O.P.U Alger 1984.
- Golvin. L, Essais sur l'architecture religieuse musulman t. Généralité.
- Grandet.D, Architecture et urbanisme islamique O.P.U Alger 1992.
- Marcais G, Manuel d'art musulman l'architecture, Tunisie, Algérie, Maroc, Espagne Sicile Algérie Maroc Espagne Sicile A pirad, Paris, 1926 .
- Marcais G, les monuments arabes de Tlemcen, fontemoing Paris 1905 .
- Marcais G, l'art musulman presse universitaire de France , Paris .
- Marcais G, les villes d'art célébres « Tlemcen » librairie Renouard H Mamens-éditeur, 1950.
- Sari.D, les Villes Précoloniales de l'Algerie occidentale (Nédroma Mazouna – Kalaa), 2éme edition ,S.N.E.D, 1978

2- المراجع باللغة الفرنسية :

- Bargés J.J.L Tlemcen ancienne capitale du royaume de ce nom , du part Paris 1859.
- Bargés J.J.L Complément historique de béni Zeiyan, rois de Tlemcen Leroux Paris, 1887.
- Basset.H le développement historique de l'art maghrébin l'Algérie par ses monuments , T H documentation .
- Basset . R, Nédroma et les Traras , Publication des l'ecole des lettres Leroux Paris , 1901 .
- Benachenhou ,A, La Dynastie Almoravide et son Art , Alger 1974
- Bel.A , les Almoravides et Almohades . Encyclopédie de l'Islam T.I .
- Bel. A, les Benou Ghanya derniers représentants de l'empire Almoravides Publication de l'ecole des lettres d'alger , Paris , 1903.
- Bel. A, Nédroma,Extrait du Bullettin de la SGAA.N ,Alger , 1935.
- Benyoucef.B, – Introduction à l'histoire de l'architecture islamique O.P.U, Alger (S.D) .
- Berque.A .L"algerie terre d'art et d'histoire, lger Heihtz, 1937.
- Bourouiba. R L'art religieux musulman en Algerie. SNED, Alger 1973.
- Bourouiba. R L'Architecture Militaire de L'Algerie Medievale , O.P.U Alger , 1983.
- Bourouiba. R Apport de l'Algerie à L'Architecture Religieuse , Arabo-Islamique, O.P.U, Alger, 1980.
- Boutemene. Y, la Zaouia des Ouled Sidi Ben amar, prés de Nedroma,edition la Koutoubia, Tlemcen, 1950.
- Canal , Monographie de l'Arrondissement de Tlemcen , B.S.G.A de la Provence d'Oran, 1888.
- Dhina Atallah.Les états de l'occident musulman aux XII, WIV et XV siécles O.P.U Alger 1984.
- Golvin. L, Essais sur l'architecture religieuse musulman t. Généralité.
- Gustave Lebon, la civilisation des arbes, SNED, Ager, 1969, P419.
- Grandet.D, Architecture et urbanisme islamique O.P.U Alger 1992.
- Marcais G, Manuel d'art musulman l'architecture, Tunisie, Algérie, Maroc, Espagne Sicile Algérie Maroc Espagne Sicile A pirad, Paris, 1926.
- Marcais G, les monuments arabes de Tlemcen, fontemoing Paris 1905.
- Marcais G, l'art musulman presse universitaire de France, Paris.
- Marcais G, les villes d'art célébres « Tlemcen » librairie Renouard H Mamens-éditeur, 1950.

الفـــهـــــــرس

الإهداء

شكر و تقدير

المقدمة أ ، ب ، ج ، د

الفصل الأول : جغرافية و تاريخ منطقة ندرومة

الإطار الطبيعي لمدينة ندرومة :

ـ موقع ندرومة 6

ـ الموقع الإقليمي 7

ـ الموقع الإداري 8

ـ التضاريس

الإطار التاريخي لمدينة ندرومة :

ـ التسمية و دلالتها 9

ـ تطور المنطقة تاريخيا 11

ندرومة في العصر الولاة 13

ندرومة في عهد الإمارة الإدريسية 15

ندرومة في العهد الفاطمي 17

ندرومة في العهد الحمادي 18

ندرومة في عهد المرابطين 19

ندرومة في العصر الموحدي 21

ندرومة و الصراع الزياني –المريني 25

ندرومة في العهد العثماني 34

ندرومة في العهد التركي 36

ندرومة في عهد الأمير عبد القادر 42

الحياة العامة للمنطقة :

_ الحياة الإقتصادية 43

_ الحياة الإجتماعية 45

الفصل الثاني : الجامع الكبير بندرومة نشأته و عمارته

نشأة الجامع الكبير بندرومة 50

تأسيس الجامع الكبير بندرومة 50

التجديدات التي أدخلت على الجامع 52

الدراسة الفنية للجامع 52

الدراسة الوصفية :

_ الوصف المعماري للمسجد 53

_ الوصف المعماري للمئذنة 55

الدراسة التحليلية :

_ الدراسة المعمارية 58

_ الدراسة الزخرفية 65

الفصل الثالث : زاوية سيدي محمد بن عمر تاريخها و عمارتها

تاريخ زاوية سيدي محمد بن عمر 71

نشأة زاوية سيدي محمد بن عمر 73

تأسيس الزاوية 74

التجديدات التي عرفتها الزاوية 75

شجرة العائلة المؤسسة للزاوية 76

الحياة الثقافية لزاوية سيدي محمد بن عمر 83

الدراسة الفنية لزاوية سيدي محمد بن عمر :

_ الدراسة الوصفية 86

_ الدراسة التحليلية 92

الخاتمة : 97

الملاحق:

- ملحق الخرائط 103
- ملحق المخططات 107
- ملحق اللوحات 111
- ملحق الوثائق 124
- فهرس البيبليوغرافيا 137
- الفهرس 147